
اجاثا كريستي
PMK
الشيطان امرأة



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

الشيطان امرأة

The Clocks

تَصلُ «شيلاويب» إلى شارع «ولبرا هام كريسنت» رقم **19**حيث قُبلتْ في وظيفة ضَاربة على الآلة الكاتبة بالأجْر. ثم تَجدُ في طريقها جُثة مُهندمَة الثياب وحوْلها خمسُ ساعات حَائط كلّ ساعة تُشير إلى وقْت مُختلف عن الأخْرى . ولما جَاء رجالُ المباحث وَجَدوا أن أربعَ ساعات من الخمَس قد اختفتْ تماماً، دون أن تَشعرَ «شيلاويب» بذلك ! ومن حُسن الحظ أن تجدَ بجانبها المفتشَ المتقاعد «هركيول بوارو»فيحاولُ أن يفكَّ طلاسمَ ذلك اللغز الغامض الذي لم يتعرَّض لمثله في حَياته المهنية قبل ذلك.

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الاردن	1.5 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 995338322-7
9 789953 383224

الشيطان امرأة

- 3 -

بونـاود الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

الشيطان امرأة

(58)

تاليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

المركز الدولي للصحافة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

دار ميوزيك – دار البشير – دار إي بي سي

الاسم الأصلي للرواية

The Clocks

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

أهم الشخصيات

- مارتندال: مديرة بوكالة "كافنديش" للآلة الكاتبة
- إدنا برنت: عاملة بالوكالة
- مورين ويست: عاملة بالوكالة
- شيلا ويب: عاملة بالوكالة
- لوتن: خالة "شيلا ويب"
- آن: والدة "شيلا ويب"
- ميليسنت بيبمارش: سيدة عمياء
- كيرتن: خادمة "ميليسنت بيبمارش"
- همنج: جارة "بيبمارش"
- رامساي: جارة "بيبمارش"
- بيل: ابن "رامساي"
- تيد: ابن "رامساي"
- بلاند: مقاول
- فاليري: زوجة "بلاند"
- كولن لامب: باحث في القضية
- بيك: عقيد
- ديك هاردكسل: مفتش
- هركيل بوارو: مخبر سري
- بيرس: مخبر
- ريجز: طبيب شرعي
- هانجري: رجل شرطة
- إدوارد: رجل شرطة

مقدمة

كان يوم 9 أيلول (سبتمبر)، في فترة ما بعد الظهر مثل أي فترة أخرى من بعد الظهر. ولا أحد ممن تدخلوا في أحداث هذا اليوم يمكن أن يتباهى بأنه شعر بأقل هاجس، وكانت السيدة "**باكر**" – المتعمقة جداً في علوم المستقبل – تصف دائماً هواجسها الداخلية، وذلك بعد انتهاء الأمر بالتأكيد. كانت تسكن في المنزل رقم 47 بشارع "**ويلبراهام كريسنت**" الذي لم يكن بعيداً عن المنزل رقم 19 الذي كانت تتمنى الحصول عليه في هذا اليوم بلا ضرورة، وفي وكالة "**كافنديش**" سكرتيرات وكاتبو آلة كاتبة، ومديرات: مثل الآنسة "**ك. مارتندال**" – وبدا يوم 9 أيلول (سبتمبر) يوماً كئيباً بصفة خاصة: رنين التليفون وصليل الماكينات: الترتيب اليومي دون شيء مهم.

وفي الساعة الثانية وخمس وثلاثين دقيقة، رن تليفون الآنسة "**مارتندال**" وفي مكتب المستخدمين ردت عليه "**إدنا برنت**" بصوتها الذي يلهث قليلا والمخنخن بعد أن زلقت كراملتها (سكر معقود) بطول لثتها وقالت:

– نعم يا آنسة "**مارتندال**"؟ فأجابت:

– لا تتكلمي يا "**إدنا**" هكذا في التليفون، ولقد قلت لك ذلك من قبل، فانطقي بوضوح ولا تعاني كثيراً. فقالت "**إدنا**":

– سامحيني يا آنسة "**مارتندال**". فأجابت:

– لقد تحسن صوتك، وأنت تستطيعين أن تحسني الصوت عندما تريدين، أرسلي إليّ "**شيلا ويب**". فأجابت "**إدنا**":

– لم تعد بعد من تناولها للغداء.

– آه! ونظرت الآنسة "**مارتندال**" بعينيها إلى ساعة مكتبها الدقاقة وقالت:

– بالضبط ست دقائق تأخير، فـ "**شيلا ويب**" تسلك على راحتها منذ فترة. عند عودتها قولي لها إني أنتظرها. وقالت "**إدنا**":

– جيد يا آنسة "**مارتندال**". وبعد أن أرجعت الكراملة إلى لسانها بدأت "**إدنا**" تستحلبها بسلام وتكتب على الآلة الكاتبة كتاب "الحب دون غطاء" للكاتب "**أرنولد**

ليفين"، فهذه الإثارة الجنسية المتعبة جعلتها باردة – مثل أغلب قراء "أرنولد ليفين" – على الرغم من مجهوداته، فلا شيء أردأ من مشاهد جنسية رديئة، فعلى الرغم من أغلفة كتب "أرنولد ليفين" الجذابة، وعناوينها المبشرة، تنخفض مبيعات كتبه من عام إلى آخر، وهاهي المرة الثالثة الآن التي يراجعون فيها فاتورة آخر كتاب على الآلة الكاتبة، وانفتح الباب أمام "شيلا ويب" وقد ضاقت نفسها قليلا، فقالت "إدنا":

– الوحش يطلبك. فقالت "شيلا" وهي عابسة:

– إنه حظي! بالضبط في اليوم الذي عدت فيه متأخرة. وبعد أن ملست على شعرها أمسكت قلما ومجموعة أوراق وطرقت باب المديرة، ومن خلف مكتبها رفعت الآنسة "مارتندال" عينيها، وهي امرأة في الأربعين من عمرها وهي النموذج الحقيقي للانفعال، وشعرها المخادع أعطاها لقب الوحش، فقالت الآنسة "مارتندال":

– أنت متأخرة يا آنسة "ويب". فقالت:

– آسفة يا آنسة "مارتندال" فالحافلة التي كنت أستقلها انحصرت في الزحام. فقالت الآنسة "مارتندال":

– في هذه الساعة، هذا شيء مميت، كان عليك أن تأخذي احتياطك (ثم نظرت إلى أوراقها) لقد اتصلت بك هاتفيًا سيدة تدعى الآنسة "بيبمارش" وهي تطلب اختزالا على الآلة الكاتبة الساعة الثالثة وتفضلك أنت، هل عملت من أجلها من قبل؟ فأجابت الآنسة "ويب":

– لا أعرف يا آنسة "مارتندال"، وعلى أي حال ليس منذ فترة قصيرة. قالت الآنسة "مارتندال":

– إنها تسكن في المنزل رقم 19 بشارع "ويلبراهام كريسنت". وتوقفت ويبدو أنها تتساءل. هزت "شيلا" رأسها وقالت:

– لا، هذا لا يفيدني بأيّ شيء. ونظرت الآنسة "مارتندال" إلى ساعتها الدقاقة وقالت:

– بالنسبة إلى الساعة الثالثة ستكونين هناك بسهولة، ولا مواعيد أخرى هناك بعد ظهر هذا اليوم؟ وألقت نظرة إلى أجندتها وقالت:

– آه! إذا كان الأستاذ "بوردي" ينتظرك في فندق "كورلو" في الساعة الخامسة،

فسوف تعودين في الوقت المناسب، أعتقد ذلك وإلا سأرسل إليه "جانيت". وبالحركة صرفتها. وعادت "شيلا" إلى قاعة المستخدمات، فقالت لها صديقتها:

ـ ما هو الجديد يا "شيلا"؟ فردت عليها:

ـ أوه! لا شيء. دائمًا النظام نفسه، فعجوز مزعجة تنتظرني في "ويلبراهام كريسنت"، والأستاذ "بوردي" بلغته الأثرية المنفرة، آه! إذا كان يمكن أن يحدث شيء أكثر إثارة يومًا ما. وانفتح باب المديرة مرة أخرى وقالت الآنسة "مارتندال":

ـ قولي لـ "شيلا" إنه عندي هنا كلمة صغيرة من أجلها، فإذا حدث مصادفة أن الآنسة "بيبمارش" لم تكن هناك فادخلي – فهذا الباب لن يغلق – واذهبي لانتظارها في الغرفة إلى اليمين مباشرة، فهل يجب عليَّ أن أدوّنه لكِ؟ فقالت "شيلا":

ـ لا داعي يا آنسة "مارتندال"، فإني سأتذكره. وانتشلت "إدنا" حذاءها من أسفل الكرسي حيث خبأته، وهو حذاء ذوقه مقزز وكعبه مدبب ومنزوع منه، وتألمت "إدنا" وهي تنتحب قائلة:

ـ يا إلهي! كيف أعود إلى منزلي؟ فقالت لها فتاة أخرى:

ـ لا تتصنعي القصص... سوف نجد حلا بالتأكيد. وأدخلت "إدنا" وهي تتنهد ورقة جديدة في ماكينتها ودَوّنت:

"لقد كان فريسة للرغبة، وقطع بأصابعه المشتاقة القماش الهزيل الذي يغطي ثدييها وقلبها على أريكته". وقالت "إدنا":

ـ "قذر". وأخذت "شيلا" حقيبتها وخرجت.

"ويلبراهام كريسنت" الذي بُني في عام 1955 تقريبًا كان فكرة معمارية ذات خيال مبدع راق، وكانت مصمَّمة على شكل نصف قمر، أما المنازل تلتصق ببعضها البعض، وهو ما أدى إلى أنه عند الوصول إلى الناحية الخارجية كنا لا نستطيع أن نرى الأرقام الأولى، بينما في الداخل كنا نبحث بلا جدوى عن الأرقام الأخيرة، وهذه المنازل المتعاظمة مع شرفاتها المبنية بطريقة فنية تشير إلى البرجوازية الفنية، وقد تم تحديثه منذ فترة وجيزة ما عدا الداخل حيث تهب الريح مارة بالمراحيض، ولا شيء يميز المنزل رقم 19 بصفة خاصة، فستائره الصغيرة نظيفة جدًا، ومقابضه من النحاس الذي يبرق، وطريق تحفه

من الجانبين أشجار العليق.

ومشت "شيلا ويب" بعد أن دفعت الشبكة حتى الباب ورنت الجرس، ولم يجب أحد، وبعد لحظة أدارت المقبض كما قيل لها وتوغلت في الداخل، وفي الداخل كان الباب الذي على يمينها مواربًا، فقرعت وانتظرت، ثم توغلت في بهو صغير جميل به عدد كبير من التحف النادرة بالنسبة إلى عصرنا، والأصالة الوحيدة هي عدد غير محدود من الساعات الدقاقة: تك تاك لساعة الجدّة في ركن، وساعة دقاقة من بورسلين "ساكس" على المدفأة، وهنا على المكتب بوصلة كبيرة من الفضة، بينما وضعت على رف بالقرب من نار مدفأة ساعة من القرمز، وأبعد من ذلك بالقرب من النافذة ساعة صغيرة قديمة للسفر مكتوب على زوايا جلدها الباهت اسم "روزماري" بحروف من ذهب باهت.

دُهشت "شيلا" عند رؤيتها ساعة المكتب وهي تشير إلى الرابعة إلا عشر دقائق، ورفعت نظرها إلى الساعة الدقاقة الأخرى الموجودة أعلى المدفأة، فكانت تشير إلى الوقت نفسه، وحدثت ضجة وصوت وانتفضت "شيلا" بعنف، وبرز طائر الوقواق من باب ساعة دقاقة صغيرة مصنوع من الخشب المنحوت، وأعلن الوقواق بقوة وبحسم: "قوقو، قوقو، قوقو" على ثلاث مرات بصوت مبحوح ومهدد تقريبًا، ثم حدث صوت آخر واختفى الوقواق داخل الساعة.

ضحكت "شيلا" ودارت حول الأريكة، وتوقفت فجأة وتحجرت، ففي هذا المكان يوجد رجل ممدد على الأرض - أعمى وعيناه مفتوحتان - مع بقعة داكنة على بزة ذات لون رمادي غامق، وانحنت بطريقة آلية وتحسست وجنته ويديه الباردتين، ثم البقعة الرمادية، وسحبت أصابعها بسرعة ، واتسعت عيناها من الفزع، وفي هذه اللحظة حدثت فرقعة بشبكة التيار الكهربائي بالخارج فأدارت رأسها بلا شعور، وفي الطرقة كانت امرأة تسرع الخطى، وبلعت "شيلا" ريقها بصعوبة فقد كان فمها جافًا، وظلت واقفة في المكان غير قادرة على الحركة، وعلا الصياح وظلت عيناها مثبتتيْن، وانفتح الباب أمام امرأة كبيرة ذات عمر ناضج تحمل كيسًا للمؤن، وشعرها رمادي وضبابي مطروح إلى الخلف على الجبهة، والعينان كبيرتان ذواتا زرقة غير عادية. جاوزت المرأة "شيلا" دون أن تراها، وصدر عن "شيلا" تأوه يُسمع بصعوبة، فرجعت العينان الزرقاوان إليها، وقالت المرأة

بصوت قوي:

- هل يوجد أحد هنا؟ وبدأت "شيلا" تقول:

- إني... إنه... وأحاطت المرأة بالأريكة لكي تمسكها. حينئذ صرخت:

- لا... لا، أنت ستمشين عليه.. عليه.. وهو قد مات.

الفصل الأول

كما يقول رجل البوليس: يوم 9 أيلول (سبتمبر) الساعة 14:59 كنت أسير في الغرب بطول "ويلبراهام كريسنت"، وكانت المرة الأولى التي آتي فيها إلى هذا الشارع، وبصراحة "ويلبراهام كريسنت" يضلني تمامًا، وكنت أقوم بالتحقق من إحدى بديهاتي بحماس كبير إلى الدرجة التي جعلت هذا الحدس يبدو لي دون أساس، وبصقت عليه، وكنت أبحث عن رقم61 – هل يوجد فقط؟ لقد صعدت بدقة منذ لحظة من رقم 1 حتى رقم 28 حتى تقاطع "ويلبراهام كريسنت" فجأة مع شارع واسع اسمه دون التباس "ألباني رود"، وعدت أدراجي، وعلى جانب الرصيف الشمالي لم يوجد سوى حائط خلفه يعكس كتلاً من أبنية ضخمة حديثة في اتجاه السماء.. عبارة عن أدوارٍ من الشقق، ونستطيع بالتأكيد الوصول إليها عن طريق شارع آخر. إذن من هذا الجانب لا أمل في الوصول إليها.

عند مروري كنت أراقب أرقام المنازل 24، 23، 22، 21، "ديانا لودج" – والمنزل رقم 21 دون شك – مع قطة شعرها أحمر كانت تتبرز على عمود الشبكة، ورقم 19...

وانفتح باب المنزل رقم 19 وظهر منه ما يشبه القنبلة في صياح زائد الحدة، وغير بشري، واكتمل هذا التشابه مع فتاة صغيرة تسرع في الممر وعبرت الشبكة، وصدمتني بعنف إلى الدرجة التي جعلتني أوشك على السقوط، وتشبثت بي في يأس. وقلت لها عندما استعدتُ اتزاني:

- هيا اهدئي، اهدئي. وهدأت وتوقفت عن الصياح، وقصر نفسها وكانت تقطعه شهقات، ولا أستطيع أن أقول إني ظهرت حقيقة على مستوى الأحداث، وسألتها:

ـ هل ضايقك أحد؟ ثم أمام عدم مهارة هذه العبارة أضفت:

ـ ماذا يحدث؟ واستعادت الفتاة الصغيرة نفسها ومدّت أصبعها وقالت:

ـ هنا بالداخل... وقلت:

ـ ماذا؟... فقالت:

ـ يوجد رجل ميت على الأرض... ميت... وقد مرّت فوقه تقريبًا. فقلت:

ـ من هي؟ لماذا؟ فقالت:

ـ لأنها عمياء على ما أعتقد، وهو مغطى بالدم. ثم خفضتْ عينيها على يديها، وأطلقت يداي. وأضافت:

ـ وأنا كذلك مليئة بالدم. ولاحظتُ في الواقع البقع على الكم بتنهد، ولكني كذلك الآن، ثم بعد تفكير قلت:

ـ أعتقد أنه من الأفضل أن تجعليني أرى كل ذلك. فقالت:

ـ لا، لا، لا أستطيع، لن أدخل هذا المنزل. وقلت:

ـ يمكن أن تكوني على حق. وبحثتُ بعينيَّ عن مكان مناسب لأضع هذه الفتاة الشابة المتعبة جدًا، وبعد أن تركتها تجلس برفق على الرصيف سندت ظهرها إلى الشبكة، وقلت لها:

ـ لا تتحركي حتى عودتي، لن أقضي وقتًا طويلا، لا خطر عليكِ، وإذا كان عندك توعك فانحني وضعي رأسك على ركبتيك. فقالت:

ـ أشعر بأني أفضل حالا، أفضل كثيرًا الآن. لا يبدو أنها متأكدة جدًا، وهكذا دون أن أتعمق في السؤال بعد أن ربّتُ برفق بكفي كتفها لتشجيعها. صعدتُ بشجاعة إلى المبنى، وعندما وصلت إلى الداخل، ترددت لحظة وأنا في بهو المبنى، وبعد أن جلت ببصري في المبنى إلى اليسار رأيتُ غرفة الطعام. توغلت في غرفة الاستقبال في المواجهة، وهناك شاهدت امرأة ذات شعر رمادي تجلس على كرسي بذراعين، وأدارت رأسها بشدة عند دخولي وقالت:

ـ من هنا؟ لقد كانت عمياء، ولاحظت ذلك في الحال، وتوجه نظرها نحوي، وكانت عيناها متجهتين تجاه نقطة خلف رأسي، وتحدثت مباشرة في الموضوع وقلت:

– اندفعت فتاة شابة إلى الشارع وهي تصرخ بأنه يوجد رجل مقتول هنا. وفي أثناء حديثي شعرت بتفاهة ما أقول. أي سخف يجعلني أفكر في أنه هنا – في هذا المنزل أو في هذه الشقة ذات الترتيب الدقيق، ومع هذه المرأة التي تجلس ويداها مكتوفتان في سلام– توجد جثة! ولكن ها هي تجيبني:

– نعم خلف الأريكة. وأحطت بالأريكة ورأيت الجثة، فالذراعان متصلبتان والعينان لاتلمعان، وبقعة الدم التي تخثرت. وسألت بسرعة:

– كيف حدث ذلك؟ فقالت:

– لا أعرف. قلت:

– لكن من هو؟ قالت:

– لا أعرف. قلت:

– يجب أن أطلب البوليس، (وبحثت بنظري) أين يوجد التليفون؟ فقالت:

– ليس عندي. ولاحظتها بانتباه وقلت:

– إنه عندك هنا؟ فقالت:

– نعم. وقلت لها:

– هل تستطيعين أن تقصي عليّ ما حدث؟ فقالت:

– بالتأكيد، فقد عدت من السوق (ولاحظت حينئذ سلّة المؤن ملقاة على الكرسي بالقرب من الباب) وعند دخولي هنا شعرت بوجود شخص ما، وبالنسبة إلى شخصية عمياء من السهل أن نعتقد ذلك، وسألت: "من هنا؟" ولم يجبني أحد، وسمعت فقط صوت تنفس لاهث، وذهبت تجاه هذا الصوت وفجأة صاح الشخص المجهول بأنه يوجد ميت سوف أسير عليه، وجرت إلى الخارج وهي تطلق صرخات. حسن: إن القصتين تنطبقان. وقلت لها:

– وماذا فعلتِ؟ فردت عليّ:

– لقد مشيت وأنا أتحسس حتى اصطدمت رجلي بشيء ما. وقلت لها:

– وبعد ذلك؟ فقالت:

– وأنا جالسة على ركبتيّ لمست يد رجل باردة بلا نبض، حينئذ ذهبت لأجلس في

انتظار مجيء أي شخص؛ لأن الفتاة ذهبت بالتأكيد تطلب المساعدة، وفكرت في أنه من الأحسن بالنسبة إليّ ألا أبتعد عن المكان، والدم البارد لهذه المرأة أثارني؛ فهي لم تصرخ ولم تهرب من المنزل وهي ترتعب، ولكنها جلست بهدوء لكي تنتظر، وهو شيء ينم عن ذكاء، ولكن ليس في طاقة كل الناس، وسألتني بدورها:

– من أنت إذن؟ فأجبتها:

– اسمي "كولن لامب"، وكنت أمرُّ أمام منزلك. فقالت لي:

– أين المرأة الشابة؟ فقلت:

– هناك بجانب شبكتك حيث تتعافى مشاعرها، أين يمكن أن نتصل بالتليفون؟ وردت عليّ بقولها:

– على بعد 50 متراً من هنا توجد كبينة بالضبط قبل الملف. وقلت:

– هذا حقيقي، فقد رأيتها وأنا آت إليك، أنتِ... وترددتُ، هل يجب أن أقول لها: "امكثي هنا" أو "هل أنت على ما يرام"؟ ومنعتني من الاضطراب وقالت:

– من الأفضل أن تحضر هذه الفتاة الشابة هنا. فقلت:

– أشك في أنها تقبل. فقالت:

– ليس في هذه الغرفة بالتأكيد، لكن في غرفة الطعام المواجهة، فقل لها إني أعد لها الشاي. ووقفت وجاءت تجاهي فقلت لها:

– لكن... هل تستطيعين... ولحظة وارتسمت على شفتيها ضحكة تعسة وقالت:

– عزيزي الأستاذ، منذ أن سكنت هنا – وذلك منذ أربعة عشر عامًا – فإني أقوم بكل ما أحتاج إليه في المطبخ، فالعمياء ليست بالضرورة عاجزة. وقلت:

– إني آسف جداً، فهذا شيء حيواني من جهتي، ويمكن أن يكون من الأنفع أن أعرف اسمك؟ فقالت:

– آنسة "ميليسنت بيمارش". وخرجت، وأنا أنزل الطريق، ورفعت الفتاة الشابة عينيها وساعدتها على الوقوف، وقالت:

– إني أشعر بأن حالتي تحسنت. فقلت بمرح:

– برافو. وقالت:

– يوجد شخص مقتول هناك. وقلت مؤكداً بسرعة:

– بالتأكيد نعم، سأجري إلى الكبينة لأتصل هاتفيًا بالبوليس، ابقيْ في مكانك في المنزل وانتظريني، وفي غرفة الطعام السيدة "بيمارش" ستعمل لك الشاي.

– إنها تدعى إذن السيدة "بيمارش"، هذه العمياء؟ فقلت:

– نعم، إنها مضطربة كذلك، ولكنها تحتفظ بكل هدوئها، هيا تعاليْ، وفي انتظار البوليس سيحسن حالتك فنجان من الشاي. ومررت ذراعي حول كتفيها وقدتها في اتجاه المنزل، وأجلستها على راحتها في غرفة الطعام، ثم خرجت على عجل، وعلى الهاتف أعلن صوت هادئ:

– مكتب بوليس "كرودين". فقلت:

– هل يمكنني أن أتحدث إلى المفتش "هاردكسل"؟ أنا "كولن لامب". لحظة، ثم جاء "ديك هاردكسل" إلى سماعة التليفون وقال:

– "كولن"؟ ألم أكن أنتظرك قبل ذلك؟ أين أنت؟ فقلت:

– في "كرودين"، بشارع "ويلبراهام كريسنت"، لقد قُتل رجل في المنزل رقم 19 مطعونًا بخنجر على ما أعتقد، لقد مات منذ حوالي نصف ساعة. وقال "ديك هاردكسل":

– من وجده؟ أنت؟ فقلت:

– لا، فقد كنت أسير في هذا المكان، عندما قفزت نحوي فجأة فتاة خارجة من المنزل كما لو كانت تخرج من أبواب الجحيم، وأوشكت أن تسقطني على الأرض، وقالت لي إنه يوجد على الأرض رجل ميت كادت تدوسه سيدة عمياء. فقال "ديك هاردكسل":

– "كولن"، أنت تجعلني أتحرك، أليس كذلك؟ وأصبح صوت "ديك" حذراً وقال:

– هذا الأمر يبدو مستبعداً، ولكنها الوقائع. وقلت:

– العمياء هي صاحبة المنزل السيدة "ميليسنت بيمارش". وقال:

– وداست الجثة؟ فقلت:

– ليس كما تفهم، لكن بما أنها عمياء، فإنها لم ترَ أين تضع قدميها. وقال:

– جيد، سآتي بالسيارة، انتظرني، ماذا فعلت مع الفتاة؟ وقلت:

– السيدة "بيبمارش" تعطيها الشاي. وقال "ديك" :

– كل ذلك يبدو خفيف الروح.

الفصل الثاني

في 19 شارع "ويلبراهام كريسنت" انتشر كل جهاز البوليس، وكان هناك الطبيب الشرعي، ومصور تحقيق الشخصية الشرعي ومتخصصون في البصمات، وجاء أخيراً المفتش "هاردكسل" بوجهه الغامض المتناقض بحاجبين ذويْ مغزى لكي يشرف على تنفيذ أوامره بطريقة جيدة.

وبعد أن تأمل الجثة مرة ثانية، وتبادل بعض الكلمات مع الطبيب ذهب إلى غرفة الطعام حيث كان ينتظره ثلاثة أشخاص وأمامهم ثلاثة فناجين فارغة من الشاي. الا وهم السيدة "بيبمارش"، و"كولن لامب"، وفتاة شابة كبيرة الحجم ترتدي حلقين لونهما أسمر، وعيناها بلون اللوز تمتلئان خوفًا، وقال لها المفتش:

– جميلة جدًا. ثم قدم نفسه للسيدة "بيبمارش" وقال:

– أنا المفتش "هاردكسل". بينما لم يتلاقيا مطلقًا على المستوى المهني إلا أنه يعرفها بالنظر.. يعرفها كأستاذ قديم، فهي تعمل الآن بمعهد "أرنبرج" حيث يعلّمون الأطفال العميان طريقة "بريل" للكتابة، ويبدو شيئًا غير مصدق أن نجد رجلا مقتولا في منزل صغير نظيف جدًا وبسيط؛ ولكن الشيء غير المصدق يحدث في أغلب الأحيان بطريقة لانفكر فيها، وقال المفتش:

– إنه شيء مخيف لك يا سيدتي "بيبمارش"، أي صدمة كانت لك! وأريد تقريراً مفصلا دقيقًا عن كل واحد منكم، أعتقد أني أفهم أن السيدة... (نظر بسرعة إلى المفكرة التي أحضرها له رجل بوليس)... "شيلا ويب" هي التي اكتشفت الجثة، وبسماح منكِ يا سيدتي "بيبمارش" سأصحبها إلى المطبخ حيث نكون أكثر هدوءاً. وفتح الباب، وجعل الفتاة الشابة تمر أمامه وكان يجلس إلى منضدة من الفورميكا مفتش شاب يدون ملاحظات في صمت.

وجلست "شيلا ويب" وهي في حالة عصبية، ونظرت إلى المفتش بحدقتي عينيها اللتين تتمددان خوفًا، وأوشك "هاردكسل" أن يقول لها: "إني لن آكلك يابنتي"، ولكنه تمالك نفسه وقال:

– لا تقلقي، فإننا نريد فقط أن تكون لدينا فكرة واضحة عما حدث، وأولا قولي لي لماذا جئت إلى المنزل رقم 19 "ويلبراهام كريسنت"؟ وبعد أن اطمأنت قالت "شيلا" وهي تشرح:

– لقد اتصلت السيدة "بيبمارش" هاتفيًا بالمكتب لكي نحضر لها كاتبة آلة كاتبة في الساعة الثالثة، وهكذا بعد أن عدت من الغداء أرسلتني الآنسة "مارتندال". وقال المفتش:

– وهل كان ذلك دورك؟ أردت أن أقول وفقًا لترتيبك العادي؟ فقالت:

– لا، ليس بالضبط، فقد أصرت السيدة "بيبمارش" أن أذهب أنا إليها. وسجل ذلك "هاردكسل" بتقطيب حاجبيه، وقال:

– آه! جيد لأنك عملت من قبل من أجلها؟ وأجابت "شيلا" بحماس:

– لا مطلقًا. وقال "هاردكسل":

– حقيقة؟ هل أنت متأكدة؟ فقالت بتأكيد:

– نعم، نعم مطلقًا، وهل ترى، إن السيدة "بيبمارش" هي إحدى السيدات اللاتي لاننساهن، إنها شخصية غريبة. وقال "هاردكسل":

– في الواقع، أخيرًا، دعي ذلك جانبًا الآن، في أي ساعة جئت إلى هنا؟

– قبل الساعة الثالثة بقليل لأن وقواق الساعة... (ثم توقفت فجأة وثبتت نظرها...) كم أنه شيء غريب، ففي هذه اللحظة لم أنتبه... فقال المفتش:

– إلى ماذا يا سيدتي "ويب"؟ إلى الساعات الدقاقة؟ فقالت:

– نعم، الوقواق دق جيداً الساعة الثالثة، لكن كل الساعات الدقاقة الأخرى كانت متقدمة ساعة، أليس ذلك شيئًا لافتًا للنظر؟ واعترف المفتش بذلك وقال:

– بالتأكيد كثيرًا، متى اكتشفت الجثة؟ فقالت:

– ليس قبل أن أدور حول الأريكة، كان.. إنه كان هنا، أوه! إنه شيء شنيع، شنيع... وقلت:

– نعم، إني أعترف بذلك، وهل تعرفينه؟ هل قابلته من قبل في أي مكان؟ فردت :

– مطلقًا. وقلت:

– هل أنت متأكدة؟ أنت تعرفين أنه يمكن أن يكون قد تغير، ففكري، فهل أنت متأكدة أنك لم تريْه مطلقًا؟ فقالت:

– تمامًا. وقلت:

– حسنًا. وماذا فعلت بعد ذلك؟ فقالت:

– ما فعلته؟ قلت:

– نعم. قالت:

– لكن لا شيء، لا شيء على الإطلاق، وكنت غير قادرة. وقلت:

– موافق، ولكنك لمسته؟ وقالت:

– نعم، هذا حقيقي لمسته لأعرف إذا... لأعرف فقط، ولكنه كان... باردًا تمامًا... و... وكانت أصابعي مليئة بالدم ولزجة وسميكة. وقالت:

– كان هذا شيئًا شنيعًا. وبدأت ترتعش، فقال "هاردكسل" بأبوة:

– هيا، هيا انتهى الأمر الآن، لا تفكري فيه، وبعد ذلك ماذا حدث؟ فقالت:

– لا أعرف... آه! نعم لقد وصلتْ. فقلت:

– من هي؟ السيدة "بيبمارش"؟ فقالت:

– نعم، لكن في هذه اللحظة لم أعرف من هي، فقد دخلت ومعها سلة مؤن. وشرحت بصوت يوضح كم أنها صُدمت؛ لأن هذه السلة بدت لها كأنها نقلت من مكانها، وقلت:

– ماذا قلتِ لها؟ فقالت:

– أعتقد أنه لا شيء.. ولقد حاولت، ولكن زوري كان معقودًا (وضعت يدها على رقبتها) ثم... ثم سألتْ من في المكان وبدأت تسير نحوي، واعتقدت... واعتقدت أنها ستسير فوق الجثة، وصرختُ... وبعد ذلك لم أستطع التوقف... فقد جريت إلى خارج المنزل، و... قلت:

– جيد، لكن سؤال آخر، ألا وهو لماذا دخلتِ في هذه الشقة؟ فتساءلت وهي مندهشة:

ـ ماذا تريد أن تقول؟ فقلت:

ـ جيد، فبعد أن رننت الجرس عندما لم يجبك أحد لماذا دخلت الشقة؟ فقالت:

ـ آه! نعم إني أفهم؛ لأنها قالت لي أن أفعل ذلك. فقلت:

ـ من هي؟ فقالت:

ـ الآنسة "مارتندال"، قالت لي أن أذهب لأنتظر في البهو إلى اليسار في المنزل. فقال "هاردكسل" وهو يحلم:

ـ إني أفهم. فسألت "شيلا" وهي خائفة جداً:

ـ هل... هل هذا كل شيء؟ فقلت:

ـ أعتقد أنه نعم، ولكني أود أن أراكِ تحت سيطرتي بعد عشر دقائق في حالة ما إذا كان لدي سؤال لأسأله لكِ، وسوف نصحبك إلى منزلك بعد ذلك، فهل لديك والدان؟ فقالت:

ـ أنا يتيمة، ولكني أسكن مع خالتي. قلت:

ـ ما اسمها؟ فقالت:

ـ السيدة "لوتن". فقال المفتش وهو يضغط على يدها:

ـ شكراً يا سيدتي "ويب"، حاولي أن تنامي جيداً هذه الليلة، فأنت تحتاجين إلى ذلك بعد كل هذه الانفعالات. وهربت إلى غرفة الطعام وهي تضحك بخوف، ومرت السيدة "بيبمارش" بإصرار أمامه، وبعد أن تحسّست بيدها أحد الكراسي المصفوفة بطول الحائط. جلست عليه قبل أن يستطيع "هاردكسل" أن يمد لها يد المعونة، وبعد أن دفع "هاردكسل" الباب بقليل، سألته هي دون أن تترك له الوقت لكي يفتح فمه:

ـ من هذا الرجل الشاب؟ فقال المفتش:

ـ "كولن لامب". فقالت:

ـ اسمه قاله لي، لكن من أين أتى؟ ولماذا هو هنا؟ فقال "هاردكسل" وهو يحدق إلى وجهها وقد اندهش كثيراً:

ـ كان يمر بالمصادفة في الشارع عندما أسرعت الآنسة "ويب" إلى الخارج وهي تصيح "قتيل"، وبعد أن رآه وهو يدخل هنا، اتصل بنا بالتليفون ونحن قد طلبنا منه أن يعود

لينتظرنا هنا. فقالت:

- أنتم تسمونه "كولن". قلت:

- لا شيء يخفى عليك يا سيدتي "بيبمارش"، وهو في الواقع أحد أصدقائي الذين أراهم نادراً، ومع ذلك فهو متخصص في علم الأحياء البحرية. فقالت:

- آه! نعم. وقلت:

- الآن يا سيدتي "بيبمارش"، فلنتحدث عن هذه المسألة الغريبة، فهل تريدين؟ فقالت:

- بكل تأكيد، ولكنْ لديّ قليل من الأشياء لأقولها لك. فقلت:

- هل تسكنين هنا منذ فترة طويلة؟ فقالت:

- منذ عام 1950 كنت مدرسة بالمرحلة الابتدائية، وعندما قيل لي إني سأصير عمياء دون أمل في الشفاء تخصصت في دراسة "بريل" وتقنياته المختلفة في التعليم، وأنا أعمل الآن في معهد "أرنبرج" للأطفال العميان. فقلت:

- شكراً، الآن فلنتحدث عن فترة ما بعد الظهر هذه، فهل تنتظرين زيارة؟ فقالت:

- لا. قلت:

- لكي أرى ما إذا كان ذلك يذكرك بشخص ما سوف أقرأ لك وصفًا للرجل المقتول: فطوله مائة وسبعون سنتيمترا متر، وعمره في الستينيات، وشعره أسود وخطه الشيب، ولون عينيه كستنائي، ويداه نظيفتان، ويمكن أن يكون موظفًا بمكتب ما أو محاسبًا في بنك على سبيل المثال، أو في مهنة حرة إذن، أو محاميًا أو أيّ مهنة أخرى. وفكرت السيدة "ميليسنت بيبمارش" طويلا قبل أن تجيب. فقالت:

- من الصعب أن أقول، فهذه العلامات غامضة، وتناسب آلاف الأشخاص، ويمكن أن أكون قد قابلت شخصاً يشبهه، ولكنه لن يكون صديقًا حميمًا على أي حال. وقلت:

- ألم يكتبوا إليك ليعلنوا عن زيارة في هذه الأيام؟ فقالت:

- مطلقًا. وقلت:

- جيد، لكن متى اتصلت بوكالة "كافنديش" للحصول على كاتبة آلة كاتبة، أنت... فقالت وهي تقطع الكلام:

– آسـفـة. (وهي تقطع الكلام)، ولكنني لم أفـعل ذلك مطلقًـا. فـحـدق إليـهـا "هاردكسل" وهو مندهش. قلت:

– ألم تتصلي بهذه الوكالة لتحصلي على كاتبة آلة كاتبة؟ وقالت:

– أيها المفتش، أستطيع أن أؤكد لك أني لا أحتاج مطلقًا إلى كاتبة آلة كاتبة ولم أتصل مطلقًا، هل تسمعني؟ مطلقًا، ولم أتصل تليفونيًا بوكالة "كافنديش". وقلت:

– ألم تطلبي السيدة "ويب" بصفة خاصة؟ قالت:

– إني أسمع هذا الاسم للمرة الأولى. ونظر إليها "هاردكسل" وهو مندهش وقال:

– ومع ذلك لم تغلقي بابك بمفتاح؟ فردت عليه:

– هذا الأمر يحدث غالبًا في النهار. فقال "هاردكسل" (هو المتحدث دائمًا):

– أي شخص يمكن أن يدخل هنا. فقالت بشراسة:

– على أي حال لم يتردد في الدخول هنا. وقال "هاردكسل":

– يا سيدتي "بيبمارش" وفقًا للطبيب، فقد قُتل هذا الرجل فيما بين الساعة الواحدة والنصف والساعة الثالثة إلا الربع، فأين كنت حينئذ؟ بعد تفكير قالت:

– في الواحدة والنصف إما أن أكون قد خرجت أو على وشك الخروج، فقد كان عليّ أن أشتري بعض الحاجات. فقال "هاردكسل":

– صفي لي خط سيرك بدقة. فقالت:

– فلنر: أولا ذهبت إلى مكتب بريد شـارع "ألبـاني رود" لكي أرسل طردًا وأشـتـري طوابع، ثم كان عليّ أن أشتري حاجات للمنزل: أزرار كبس، ودبابيس من عند تاجر الخردوات، ثم عدت إلى منزلي، وأستطيع أن أقول لك في أي ساعة بالضبط؛ لأنني وأنا أصعد السلم سمعت الوقواق يعلن الوقت بصوته ثلاث مرات. وقال "هاردكسل":

– والساعات الأخرى؟ فقالت:

– سامحني؟ وقال "هاردكسل":

– ساعاتك الأخرى التي تتقدم كلها ساعة؟ وقالت:

– التي تتـقـدم؟ آه! هل تريد أن تتكلم عن سـاعـة الجـدّة التي في الركن؟ فـقـال "هاردكسل":

– ليس عنها فقط، بل عن ساعات البهو كذلك. فقالت:

– ماذا تريد أن تقول؟ ساعات البهو؟ لكن في البهو لا توجد ساعات أخرى.

الفصل الثالث

وقال "هاردكسل" مندهشًا:

– فلتر يا سيدتي "بيبمارش"! لقد نسيتِ ساعتك الفاتنة الساكسونية، ومنبهك الفرنسي من الفضة المذهبة، وساعتك الفضية التي على شكل بوصلة و... حقيقة يوجد كذلك ساعة "روزماري" منحوتة في الركن. وبدورها بدت السيدة "بيبمارش" مندهشة وقالت:

– أيها المفتش إما أنك مجنون أو أنا مجنونة؛ لأنه ليس لدي ساعة ساكسونية أو كما تقول مكتوب عليها "روزماري"، وماذا كانت الأخرى؟ فأجاب "هاردكسل" تلقائيًا:

– ساعة فضية على شكل بوصلة من الفضة. فقالت:

– إذا كنت لا تصدقني فاسأل الخادمة السيدة "كيرتن". ولم يكرر المفتش الكلام فالصوت نقي يؤكد أن السيدة "بيبمارش" تبدو مقنعة، ولحظة فقد ظل في المكان يكرر الوقائع، ثم وقف وقال:

– يا سيدتي "بيبمارش" هل تريدين من فضلك أن تتبعيني إلى البهو؟ فقالت:

– لكن، بالتأكيد، وحقيقة الأمر أني أريد أن أرى هذه الساعات بنفسي. فقال "هاردكسل":

– ترين؟ وأمسك "هاردكسل" بالكلمة على عجل. فقالت:

– أن أختبرها، يمكن أن تكون أدق في فمي بالتأكيد، لكن هل ترى أيها المفتش أن العميان يستخدمون كلمات تقليدية لا تتناسب بالضبط مع حواسهم، وأردت أن أقول بالأحرى إني أريد أن أمسكها بيدي وأستشعرها. وسبق "هاردكسل" السيدة "بيبمارش" ودخل البهو، وأدار الرجل الذي يرفع البصمات رأسه تجاه "هاردكسل" وقال:

– سأنتهي بعد قليل يا أيها المفتش، فأنت تستطيع أن تلمس كل ما تريد. ووافق

"هاردكسل" على ذلك وأمسك بالساعة الصغيرة الخاصة بالسفر والرحلات المنحوت عليها اسم "روزماري" ووضعها على كف السيدة "بيبمارش"، فجستها "بيبمارش" بدقة، وعملت الشيء نفسه مع الساعات الثلاث الأخرى، وقالت:

– هذه الساعات ليست ملكي (وأعطته الساعة الأخيرة) فالساعات الوحيدة التي أعتادها في هذا المنزل هي ساعة الحائط التي لجدتي في ركن... وقال:

– هذا بالضبط. وقالت:

– وساعة الوقواق المثبتة في الحائط بالقرب من الباب. ولم يعرف "هاردكسل" ماذا يقول، ووثق بأنها لا تستطيع أن تفعل شيئًا آخر أكثر من ذلك، وتفحص وجهها أمامه، وهذه الجبهة المرتبكة التي يقطعها خط خفيف، وقال:

–.أنا لا أفهم أي شيء، لا، لا شيء على الإطلاق. ومدت يدها وهي تعرف بفطنة المكان الذي تقف فيه في الشقة وجلست، وعندما رأى "هاردكسل" المتخصص في رفع البصمات بالقرب من الباب سأله:

– هل فكرت في الساعات الدقاقة، نعم؟ فأجابه:

– لقد اختبرت كل شيء يا سيدي المفتش، ولا يوجد أي أثر لأصابع على الساعة الفضية المذهبة، لكن على هذا الجانب فهي لا تطبع مطلقًا مع ذلك، وهي لا تطبع كذلك على البورسلين، لكن ما يبدو غريبًا، هو أنه لا توجد بصمات على جلد المنبه ولا على الساعة الفضية التي على شكل بوصلة، ففي هذه الأمكنة من الطبيعي أن توجد بصمات، وفي الواقع كل الساعات لا تعمل وكلها متوقفة على التوقيت نفسه: 4:13 وقال "هاردكسل":

– وفي باقي الشقة؟ فأجاب المتخصص:

– يوجد ثلاث أو أربع سلاسل من البصمات في كل مكان، كلها للمرأة وفقًا لرأيي. كما أضاف:

– لقد وضعت محتوى جيوب الميت هنا. وأشار إلى كومة على المنضدة. توجه نحوها "هاردكسل" في الحال. وأمامه كانت توجد محفظة تحتوي على سبعة جنيهات وعشرة شلنات، وجيب صغير من الحرير لا مثيل له، وعلبة صغيرة من الحبوب المهدئة، وكارت

زيارة. وعندما مال "هاردكسل" قرأ ما يلي:

Mr R. H. Curry

Metropolis and Provincial Insurance Co Ltd.

London. W. 2.

حينئذ عندما عاد "هاردكسل" إلى الأريكة التي كانت تجلس عليها السيدة "بيبمارش" سألها قائلا:

– ألا تنتظرين زيارة من إحدى شركات التامين على سبيل المصادفة؟ فاجابت:

– من شركة تامين؟ لا على الإطلاق. فكرر "هاردكسل":

– من شركة "متروبوليس وبروفنسيال". فهزت السيدة "بيبمارش" رأسها وقالت:

– لا، لم أسمع مطلقًا عنها. وسألها "هاردكسل":

– أليست لديك النية للحصول على أي تامين؟ فاجابت:

– لكن لا، فإني مؤمَّنة ضد السرقات والحريق بواسطة شركة تامين "جويس"، ولكني شخصيًا ليس لي أب أو أم أو أصدقاء، ولا أرى داعيًا لكي أؤمن على حياتي. وقال "هاردكسل":

– في الواقع "كاري" هذا الاسم ألا يوحي لك بأي شيء؟ وقال وهو يراقب مظهرها وملامح وجهها:

– السيد "ر. هـ. كاري". ولكنه لم يرَ أي رد فعل، فكررت:

– "كاري"؟ ثم قامت بحركة إنكار، وأضافت:

– هو اسم قليل الانتشار أليس كذلك؟ لا أعتقد أني سمعته مطلقًا، فهل هو اسم الميت؟ فقال "هاردكسل":

– يمكن. وترددت "بيبمارش" ثم قالت وهي مصرة:

– هل تريد أن... أن... المس...؟ وفهم "هاردكسل" بنصف كلمة وقال:

– هل تقبلين يا سيدتي "بيبمارش"؟ ألست تطلبين كثيراً؟ ولست كثير الكفاءة في هذا المجال، ولكن أصابعك ستدلُّكِ دون شك على الوجه أكثر من أي وصف عادي. وقالت السيدة "بيبمارش":

– بالضبط، هذا ليس شيئًا كثير القبول، لكن يمكن أن يكون نافعًا لك، أريد جداً أن أفعله. وقال "هاردكسل":

– شكراً، لقد قبلت، اسمحي لي أن أقودك... وجعلها تقوم بجولة حول الأريكة وساعدها على أن تجثو، ثم قاد يدها برفق تجاه وجه الميت، وبكل هدوء لم تترك أي انفعال ليظهر عليها، ونزلت أصابعها بطول الشعر، والأذنين، وقفت لحظة خلف الشعر الذي على اليسار، ثم تتبعت منحنى الأنف والفم والذقن، وقالت وهي تنتصب:

– أرى جيداً ماذا يشبه وإني لا أعرفه، فإني متأكدة الآن. ورجل البصمات الذي خرج لتوه الآن بعد أن رتب مادته أطلَّ من جديد برأسه من الباب وقال:

– جاءوا ليبحثوا عن الجثة، فهل يمكن أن يحملوها؟ وقال المفتش:

– نعم يا سيدتي "بيبمارش" اجلسي هنا، هل ترتاحين؟ وأجلسها على كرسي في ركن، ودخل رجلان، وبحركة من أيدي هذين المهنيين اختفى السيد "كاري" الميت، ورافقهما "هاردكسل" حتى الشبكة، ثم جاء ليجلس بالقرب من السيدة "بيبمارش" وقال ملاحظًا:

– أي كلام أقوله غير حقيقي يُستبعد يا سيدتي "بيبمارش"، أود أن أراجع باختصار أمامك الأحداث الأساسية، وإذا كنت على خطإ فقولي لي، فأنت لا تنتظرين أي زيارة اليوم، وأنت لم تستعلمي عن أي أسئلة تتعلق بالتأمين، ولم تستلمي أي رسالة تعلن لك عن زيارة وكيل تأمينات في نهار اليوم؟ هل هذا شيء دقيق؟ فأجابت:

– تمامًا. فقال:

– ولم تحتاجي مطلقًا إلى كاتبة آلة كاتبة، ولم تتصلي هاتفيًا بوكالة "كافنديش"؟ فأجابت:

– تمامًا دائمًا. وقال:

– وعندما خرجتِ في الساعة الواحدة والنصف تقريبًا لم يكن هنا سوى ساعتين دقاقتين فقط: ساعة الوقواق وساعة جدَّتك؟ وكانت السيدة "بيبمارش" على وشك الإجابة، ولكنها أمسكت نفسها وقالت:

– في الحقيقة لا أستطيع أن أؤكد، فبما أني لا أرى، كيف تريد أن ألاحظ وجود

أو غـيـاب شـيء مـا؟ ومع ذلك كـان يمكنني أن ألاحظ ذلك وأنا أنفض الغـبـار هنا هذا الصـبـاح، بل كل شيء كـان مرتبًـا، وأنا أتمسك بأن أنظف البـهـو بنفسي بسـبب تخفي، والخادمات لا ينظفن برقة! فسألها "هاردكسل":

– هل خرجت هذا الصباح؟ فأجابت:

– نعم، كالعادة أذهب لتدريس فصلي في معهد "أرنبرج" من العاشرة صباحًا حتى الثانية عشرة والنصف، ورجعت في حوالي الواحدة إلا الربع، لكي أعمل بيضًا مخلوطًا وشايًا، ثم كـمـا قلت لك خرجت من جديد في السـاعـة الواحدة والنصف، وفي الواقع تغديت في مطبخي ولم أعُد مرة أخرى إلى المطبخ. قال "هاردكسل":

– جيد، إذن استطعتِ أن تثبتي أنه في الساعة العاشرة هذا الصباح لم يوجد هنا سوى ساعتيك الدقاقتين العاديتين، فسيكون إذن في الصباح المتأخر قد أمكن وضع الساعات الدقاقة الأخرى. فقالت:

– استعلم من مدبرة منزلي أوخادمتي السيدة "كيرتن"، فهي تجيء عندي من العاشرة صباحًا وحتى الثانية عشرة. وهي تسكن في المنزل رقم 17 بشارع "ديبر". فقال:

– شكرًا سيدتي "بيبمارش"، والآن بالاعتماد على بعض الوقائع هذه أود أن تعطيني أفكارك واقتراحاتك، ففي لحظة ما اليوم تم إحضار أربع ساعات دقاقة في هذا المنزل، عقاربها جميعًا تشير إلى الساعة 4:13، فهل هذه الساعة تشير لديكِ إلى شيء ما؟ فقالت السيدة "بيبمارش":

– لا، لا شيء على الإطلاق. فقال "هاردكسل":

– لنعد إلى الميت، إلا إذا كنت قد حذرت مدبرة المنزل خادمتك، فيبدو غير محتمل أنها جعلته يدخل وتركته بعد ذلك وحيدًا في المنزل، وسوف نستجوبها – مع ذلك – فيما بعد عن هذا الموضوع، فهذا الرجل إذن، لا يمكن أن يكون قد جاء إلى هنا سوى من أجل دافعيْن: سواء لأعمال تجارية أم لأسباب شخصية، ولكنه قُتل بسكين فيما بين الساعة الواحدة والنصف والساعة الثالثة إلا الربع، فهل تم إعطاؤه موعدًا؟ أنت تدّعين أنك لاتعرفين أي شيء، هل تهتمين بمشاكل التأمينات؟ هنا أيضًا لا تعرفين شيئًا، وبما أن الباب لم يكن مقفولا فيمكن أنه استطاع الدخول والجلوس هنا لانتظارك، لكن لماذا؟ فقالت

السيدة "بيبمارش" وهي متعصبة:

– كل هذه القصة تبدو خيالية لا تصدق، ففي رأيك هل هذا... ما اسمه؟ هل هذا الـ"كاري" هو الذي أحضر الساعات الدقاقة؟ ولاحظ "هاردكسل" المكان وقال:

– لا يوجد أي أثر لمواد التغليف والتعبئة، فكيف استطاع أن يحضر أربع ساعات دقاقة في جيوبه؟ يا سيدتي "بيبمارش"، هذه الساعات الدقاقة، وهذه الساعة التي تشير إلى الوقت 4:13، الا توجد مجموعة أفكار؟ فقالت:

– أو أنها عمل شخص مجنون أو أنه قد أخطأ المنزل، لا يا سيدي المفتش، إني لا أرى شيئًا لأقوله لك. بناءً على هذه الكلمات كان رجل بوليس شاب يمسك الباب مواربًا فذهب إليه "هاردكسل" في البهو، ثم ذهب بعد ذلك إلى الشبكة ليتناقش لبضع لحظات مع رجاله وقال:

– الآن تستطيعون إرجاع الفتاة الشابة إلى منزلها، فهي تسكن بالمنزل رقم 14 في شارع "بالمرستون". وعاد إلى غرفة الطعام، وعن طريق الباب المفتوح كان يسمع السيدة "بيمارش" وهي تدير مغسلة الصحون، وهي واقفة في الإطار قال لها "هاردكسل":

– إني أحتاج إلى هذه الساعات الدقاقة وسأترك لك وصل استلام. فقالت:

– اعمل ماشئت أيها المفتش، فإنها ليست ملكي. واستدار تجاه "شيلا ويب" وقال لها:

– تستطيعين أن تعودي إلى بيتك يا سيدة "ويب". فقام كل من "شيلا" و"كولن" وأضاف وهو يجلس إلى المنضدة لتحرير وصل التسلّم:

– أرجوك يا "كولن"، اصطحبها إلى السيارة. وكان الشابان الصغيران في الممر عندما توقفت الفتاة الشابة فجأة، وقالت:

– قُفَّازاي... إني نسيتهما. فقال "كولن":

– سأرجع إلى المنزل. فقالت "شيلا":

– لا، إني أعرف أين تركتهما، وهذا لا يزعجني الآن لأنهم رفعوا الجثة. فذهبت وهي تجري، ثم رجعت بعد لحظة وقالت:

– إني آسفة لأني سلكت كمخبولة منذ قليل. فقال لها "كولن":

– أي إنسان مكانك يفعل الشيء نفسه. وفي اللحظة التي بدأت فيها السيارة السير ظهر "هاردكسل" من جديد وتحدث إلى شابين من رجال البوليس، فقال:

– حزما لي بكل دقة الساعات الدقاقة التي بالبهو كلها ماعدا الساعة الجدارية وساعة الوقواق. ثم بعد إصدار بعض الأوامر استدار نحو صديقه وقال:

– سأذهب لأقوم بجولة، ستأتي؟ فأجاب "كولن":

– بكل سرور.

الفصل الرابع

وسألت "هاردكسل:

– وأين سنذهب هكذا؟ فقال للسائق:

– وكالة "كافنديش"، فإنها في شارع "بالاس"، في اتجاه الساحة على اليمين. فأجاب السائق:

– جيد يا سيد. وسارت السيارة، وكان المبهورون لافتو النظر يكوّنون مجموعة صغيرة، وعلى عمود "ديانا لودج" – البيت المجاور – دائمًا القطة الشقراء التي قضت حاجتها تقف ناهضة على رجليها تحرك ذيلها وهي تتأمل – بهذا الازدراء السامي للقطط والجمال – وجوه الناس التي تعلوها. وقال "هاردكسل" وهو يلقي نظرة إلى ساعته فهي الآن قد تعدت الرابعة مساءً:

– أولا وكالة "كافنديش" ثم مدبرة المنزل (الخادمة)، نفّذ بنظام لأن الوقت يمر بسرعة. وبعد سكوت أضاف "هاردكسل":

– الفتاة جميلة جدًا. وقلت:

– وأنا موافق، نعم. ونظر إليّ نظرة مازحة. وقال:

– لقد قصت علينا قصة مدهشة، وكلما أسرعنا في التحقق منها كان ذلك من الأفضل فقلت:

– ألا تعتقد أنها...؟ ثم قاطعني وقال:

– الأشخاص الذين يكتشفون الجثث يثيرون اهتمامي كثيراً بصفة دائمة. وقلت:

– ولكن هذه الفتاة كانت نصف ميتة من الخوف، إذا كنت قد سمعتها وهي تصرخ... ونظر إليّ نظرة جديدة مازحة وهو يكرر أن الفتاة كانت جميلة جداً. ثم قال:

– وماذا كانت تعني لنا زيارتك لـ "ويلبراهام كريسنت" يا "كولن"؟ هل تعجب بنعمة الهندسة المعمارية الفكتورية؟ أم كان لك هدف محدد؟ فقلت:

– نعم، كان لي هدف، فقد كنت أبحث دون جدوى عن المنزل رقم 61، يمكن ألايكون موجوداً؟ فقال:

– لكن نعم، الأرقام تصل حتى 88 على ما أعتقد. وقلت:

– انظر يا "ديك هاردكسل" عندما وصلت إلى الرقم 28 كان شارع "ويلبراهام" قد انتهى. وقال "هاردكسل":

– الأجانب يتوهون فيه دائماً. وكان عليك أن تأخذ اتجاه اليمين وأنت تصعد شارع "ألباني رود" ثم تلزم الاتجاه الأيمن من جديد، وستجد نفسك من جديد في النصف الآخر من "ويلبراهام كريسنت" فالبيوت مبنية على جانبي حدائقها الملتصقة ويدير أحدها ظهره للآخر، هل تفهم؟ وقال "كولن":

– إني أفهم، هل تعرف من يسكن المنزل رقم 61؟ فقال "هاردكسل":

– في المنزل رقم 61... انتظر، يجب أن يكون "بلاند" المقاول. فقلت:

– وهذا لا يوافقني مطلقاً. فقال "هاردكسل":

– هل تبحث عن مقاول؟ فقلت:

– لا، هذا لا يفيدني في شيء، لكن على الأقل... هل يقيم في هذا المكان منذ فترة طويلة؟ فقال "هاردكسل":

– "بلاند"؟ لقد ولد في هذا المكان، وهو بالتأكيد شخصية أصيلة بالبلد، وله سنوات في المهنة. فقلت:

– يا إلهي، إنه شيء مزعج. وقال لي "هاردكسل" بصوت واعد:

– إنه مقاول رديء، فهو يستخدم المواد ذات النوعية الرديئة، وبنى بيوتاً تبدو صلبة في مظهرها، لكن ما إن يسكن الناس فيها حتى تنهار عليهم، فهو يمشي دائماً على حبل

مشدود وينجح بصعوبة في تفادي السقوط. وقلت:

- لا داعي إلى إغرائي يا "ديك"، الرجل الذي أبحث عنه يمكن أن يمثل الاستقامة عينها. فقال "هاردكسل":

- لقد ورث "بلاند" منذ فترة وجيزة، أو بالأحرى ورثت زوجته، وهي كندية كانت قد قابلت "بلاند" في هذا المكان في أثناء الحرب، وكانت عائلتها ضد هذا الزواج، وقطعت علاقتها معها بعد الزواج، ولكن العام الماضي بعد وفاة عمها الكبير، وبعد موت الكثيرين في أثناء الحرب وآخرين بفعل الحوادث، ففجأة وجدت السيدة "بلاند" نفسها وحيدة من كل عائلتها، وهي إذن موصًى لها بكل مال العائلة. وأعتقد أن ذلك حدث في الوقت المناسب لإنقاذ "بلاند" من الإفلاس. فقلت:

- يبدو أنك تعرف كل شيء عن السيد "بلاند"؟ فقال:

- أوه! هذا... اسمع فالذي يراقب دائرة تحصيل الضرائب يهتم دائمًا بالأشخاص الذين يصبحون أغنياء بين ليلة وضحاها، فإننا نتساءل عما إذا لم يكونوا قد قاموا بحيل بسيطة، أو رُشًا معينة؛ لذلك نطلب حساباتهم أو تقارير عنهم، و"بلاند" شرح لنا حساباته وكل شيء كان قانونيًا. فقلت:

- على أية حال الأشخاص الذين عملوا ثروة في يوم واحد لا يهمونني. وقال وهو يميل على باب السيارة:

- ها قد وصلنا. تقع وكالة "كافنديش" في الشارع التجاري الأعظم للمدينة، ويسمى بفخامة شارع "بالاس"، وهي تسكن مثل كثير من الأعمال المجاورة بمنزل على الطراز الفكتوري وكان مرممًا، وبعد أن صعدنا درجات السلم الأربع، دخلنا أنا و"هاردكسل" في شقة كبيرة بعد أن طالعنا لافتة على الباب الأيمن كان مدونًا عليها: "ادخلوا دون طرق الباب" وكان بالشقة ثلاث سيدات شابات يضربن بدقة على الآلة الكاتبة. اثنتان منهن كانتا غير مباليتين بوجودنا واستمرتا في الضرب، بينما توقفت الثالثة التي كان يوجد أمامها تليفون، وكان يبدو أنها تريد أن تسألنا، فتوقفت عن استحلاب البونبون وسألتنا بصوت أغن:

- من تطلبان؟ فقال "ديك":

ـ الآنسة "مارتندال" فقالت:

ـ أعتقد أنها تتصل بالتليفون في هذه اللحظة. وبعد لحظة وضعت سماعة التليفون. فضغطت الفتاة الشابة على زر وقالت:

ـ هنا أستاذان يريدان رؤيتك يا آنسة "مارتندال" (ورفعت نظرها في اتجاهنا) وأضافت:

ـ اسماكما لو سمحتما؟ فقال "ديك":

ـ "هاردكسل". فقالت الفتاة أو السيدة الشابة:

ـ إنه الأستاذ "هاردكسل" يا آنسة "مارتندال" (ثم وضعت السمّاعة) وأضافت:

ـ من هنا. وأدخلتنا في مكتب الآنسة "مارتندال"، وعند دخولنا نظرت إلينا الآنسة "مارتندال" الواحد تلو الآخر وقالت:

ـ الأستاذ "هاردكسل"؟ وأخرج "ديك" واحدة من بطاقاته المهنية بينما تجاهلتني، فذهبت لأجلس على كرسي في الركن، وقطبت الآنسة "مارتندال" حاجبيها الوحشيين كأنها توضح مفاجأة معينة ممزوجة باستياء، وقالت:

ـ ماذا تريد أيها المفتش؟ فقال "هاردكسل":

ـ بعض المعلومات التي يمكن أن تكون نافعة لي يا آنسة "مارتندال". وفهمت من درجة صوت "هاردكسل" أنه سيقوم ببعض الإغراء، فإنه يقوم بالسؤال عن طريق الآنسة "مارتندال" فهل ستكون حساسة لذلك؟ وكنت أشك في ذلك، ومع ذلك بدأ "هاردكسل" يسأل:

ـ أعتقد أني أعرف أنه لديكِ مستخدمة تدعى الآنسة "شيلا ويب"؟ فقالت:

ـ نعم بالضبط، وللأسف لا أعتقد أنها هنا في هذه اللحظة، فقد كان عليها أن تؤدي عملا بالخارج منذ بداية فترة ما بعد الظهر، ويجب أن تكون قد عادت منذ فترة وجيزة إلاإذا كانت قد ذهبت مباشرة إلى موعدها في الساعة الخامسة في فندق "كورلو" في ساحة "إسبلاناد". قال "هاردكسل":

ـ جيد، ماذا تعرفين عن هذه الفتاة؟ وقالت الآنسة "مارتندال":

ـ ليس شيئًا كثيراً، فهي مستخدمة هنا منذ ـ دعني أفكر ـ حوالي عام، وعملها مُرضٍ لي تمامًا. فقال "هاردكسل":

– هل تعلمين أين كانت تعمل من قبل؟ فقالت:

– إذا كنت تتمسك بذلك حقيقة فإني أستطيع أن أقول لك، فسيرتها الذاتية يجب أن تكون في إحدى ملفاتي، وأخيراً فبطريقة سامية أعتقد أني أتذكر أنها عملت أولا في وكالة لندنية أعطتها مراجع ممتازة، ويبدو لي – إذا كانت ذاكرتي جيدة – أني أقصد وكالة سكنية. وقال الأستاذ "هاردكسل":

– أنت قلت إنها ماهرة جداً. وقالت الآنسة "مارتندال" التي تعد من النوع الذي يقتصد في مدائحه:

– إنها ماهرة تماما، فلديها سرعة ممتازة في الضرب على الآلة الكاتبة، ويبدو لي أنها متعلمة تعليماً جيداً، فهي كاتبة آلة كاتبة دقيقة. فقال المفتش:

– هل ترينها بعد ساعات عملها بالمكتب؟ فأجابت:

– لا، يبدو لي أنها تعيش عند خالتها. وقالت (وقد نفد صبرها):

– أيها المفتش، هل يمكنني أن أعرف لماذا تطرح كل هذه الأسئلة؟ هل أثارت هذه الفتاة الشابة بعض المضايقات؟ فقال "هاردكسل":

– لا، ليس بالضبط يا آنسة "مارتندال"، هل تعرفين سيدة تدعى "ميليسنت بيبمارش"؟ فقالت "مارتندال" وهي تقطب حاجبيها الوحشيين:

– "بيبمارش"؟ آه! نعم بالتأكيد، يجب أن تذهب إليها "شيلا" في الساعة الثالثة. فقال:

– كيف حصلت على هذا الميعاد يا آنسة "مارتندال"؟ فأجابت:

– بالتليفون، فقد كانت السيدة "بيبمارش" تريد كاتبة آلة كاتبة، وطلبت مني أن أرسل إليها الآنسة "ويب". فقال:

– هل حددت أنها تريد "شيلا ويب"؟ فقالت:

– نعم. وقال:

– في أي ساعة اتصلت بك؟ ففكرت الآنسة "مارتندال" لحظة ثم قالت:

–لم تتصل بي بطريقة نموذجية، إذن هذا يمكن أن يكون في أثناء وقت الغداء؛ لكي أحدد لك فلنقل في حوالي الساعة الواحدة وخمسين دقيقة، على أية حال قبل الساعة الثانية. لقد دونته على الكارنيه الخاص بي، لقد كانت الساعة الواحدة وتسعًا وأربعين

دقيقة بالضبط. فقال:

ـ هل تحدثت إليك السيدة "بيبمارش" بنفسها؟ فقالت الآنسة "مارتندال" وقد فوجئت:

ـ أعتقد أنه نعم. وقال:

ـ ولكن هل تستطيعين أن تعرفي صوتها؟ هل تعرفينها شخصيًا؟ فأجابت:

ـ لا، على الإطلاق، فقد قالت لي ببساطة إنها تُدعى السيدة "ميليسنت بيبمارش" وأعطتني عنوانها في "ويلبراهام كريسنت" ثم كما قلت لك طلبت مني أن أرسل إليها "شيلا ويب" في الساعة الثالثة إذا كانت غير مشغولة. تقرير واضح ومفصل، فبالتأكيد الآنسة "مارتندال" تعد شاهدة من الدرجة الأولى، وقالت "مارتندال" وقد شعرت ببعض الإرهاق:

ـ أود جيداً أن أعرف ما معنى كل ذلك؟ فقال:

ـ حسنا، فقد قالت السيدة "بيبمارش" إنها لم تتصل بك هاتفيًا مطلقًا. وقالت الآنسة "مارتندال" مندهشة:

ـ كيف؟! ولكن هذا لا يصدق! فقال:

ـ أنت على العكس تقولين إنها اتصلت بك، لكن دون أن تستطيعي تأكيد أنها السيدة "بيبمارش". فقالت:

ـ لا بكل وضوح، هذا صعب عليّ دون أن أعرفها، لكن أخيراً لا أعرف سبب حدوث ذلك، إلا إذا كان ذلك نوعًا من الدعابة. فقال "هاردكسل":

ـ إن الأمر أكثر جدية من ذلك، فهذه السيدة "بيبمارش" ـ أو أي سيدة أخرى ـ هل قالت لك لماذا تريد بصفة خاصة "شيلا ويب"؟ وقالت:

ـ يبدو أنها حددت لي أن "شيلا" قد عملت عندها من قبل. فقال:

ـ هل هذا حقيقي؟ فقالت:

ـ "شيلا" لا تتذكر ذلك، لكن هذا ليس خلاصة أيها المفتش، وبعد كل ذلك هؤلاء الفتيات يذهبن إلى أماكن مختلفة، ويشاهدن عدة رؤوس جيدة يبدو من الصعب أن يتذكرنها، وهذا ما حدث قبل التوقف بعدة أشهر، لكن أيها المفتش، حتى لو كان المقصود دعابة، فإني لا أفهم ماذا تقصد من زيارتك؟ فقال:

– سوف ناتي لذلك، فعندما وصلت الآنسة "ويب" إلى "ويلبراهام كريسنت" فقد دخلت وذهبت إلى البهو وفقًا للتعليمات التي حصلت عليها كما قالت لي، فهل تتفقين معي على ذلك؟ فقالت:

– تمامًا، فقد أخبرتني السيدة "بيبمارش" بأنها قد تتأخر قليلا وأن على "شيلا" أن تذهب لتنتظرها في المنزل. واستكمل "هاردكسل":

– وفي البهو وجدت الآنسة "ويب" رجلا ميتًا على الأرض. وبدت الآنسة "مارتندال" مندهشة متجمدة في مكانها لحظة تبحث عن كلماتها ثم قالت:

– أنت تقول وجدت رجلا ميتًا؟! فصححها "هاردكسل":

– مقتولا، حتى أنه مطعون بخنجر. فقالت:

– أوه! يا إلهي! أي قلق لهذه الفتاة المسكينة! نوع من الملاحظة ينقصها الوقت المناسب وتعد من خواص الآنسة "مارتندال". فقال "هاردكسل":

– هل اسم "كاري" يذكرك بشيء ما يا آنسة "مارتندال"؟ السيد "د. هـ. كاري" فقالت:

– لا، لا يذكرني بشيء. فقال:

– من شركة تأمينات "متروبوليس وبروفنسيال"؟ ورفضت الآنسة "مارتندال" مرة أخرى ولم يعكس وجهها شيئًا، وتنهد "ديك هاردكسل" ووقف ليأخذ إجازة، وقال:

– لديك هنا عمل جديد صغير، فهل لك فترة طويلة في المهنة؟ فأجابت:

– خمس عشرة سنة، وهذا نجاح بدأ من لا شيء تقريبًا، ولدي الآن ثماني مستخدمات وعمل أكثر من اللازم. وقال:

– أرى أنك متخصصة بصفة خاصة في الأعمال الأدبية؟ قال هذا وهو ينظر إلى صور المؤلفين على الحوائط، فقالت:

– نعم، عند بداياتي كنت لفترة طويلة من السنين سكرتيرة مؤلف الروايات البوليسية المعروف "جاري جريجسون"، وفي الواقع كان هذا بفضل وصية أعطاها لي استطعت أن أكوّن هذه الوكالة، وكثير من زملائه جعلوني مديرة لأعمالهم، فمعلوماتي الفنية والأدبية خدمتني وأنا معهم، ومنحتُهم عددًا من المعلومات مثل التواريخ، والأقوال المأثورة، والشريعة، والعمليات، ومفعول مختلف السموم، وأمددتهم كذلك بتفاصيل جغرافية

مثل المطاعم، وشوارع بالخارج؛ لأن القراء في أيامنا هذه يدققون أكثر من القراء في الماضي، ولا يترددون في توضيح الأخطاء للمؤلفين.

وما إن توجه "هاردكسل" نحو الباب حتى فتحته له، ومنذ فترة كانت الفتيات الشابات الثلاث يستعددْن للرحيل، وعند الاستقبال وقفت "إدنا" وهي تبدو متأسفة فهي تمسك بحذائها ذي الكعب المدبب، وقالت:

– إني أرتديه منذ شهر فقط، وقد كلفني ثمنًا باهظًا، وذلك بسبب هذه الشبكة المقدسة للميازيب التي بجانب الحلواني الذي في الركن، وبعد ذلك لم أستطع السير، وكان عليّ أن أدخل إلى هنا مع خبز على شكل هلال وحذائي في يدي، والآن، كيف سأركب الحافلة، فإني أتساءل...؟ وفي هذه اللحظة تلاقينا مع الفتيات الثلاث، وأخفت "إدنا" بنشاط حذاءها وهي تلقي نظرة خاطفة إلى الآنسة "مارتندال" التي لم تكن من مستعملات الأحذية ذات الكعوب المدبّبة، هذا إذا حكمنا على المظاهر. فقال "هاردكسل":

– أشكرك كثيرًا يا آنسة "مارتندال"، وإذا تذكرت شيئًا ما فأعلميني... وقاطعته الآنسة "مارتندال" قائلة بصوت مفاجئ:

– بالتأكيد. وفي أثناء صعودنا إلى السيارة قلت لـ "هاردكسل":

– إذن، على الرغم من كل شكوكك، فإن قصة "شيلا ويب" حقيقية؟ وقال "ديك":

– بالتأكيد، بالتأكيد، فأنت على حق.

الفصل الخامس

صاح "إرني كيرتن":

– أمي!، وقد توقف لحظة عن تحريك يده من أعلى إلى أسفل الزجاج، وكان يصحب ذلك ضجيج، وصوت صرير، فلعبته الصغيرة من المعدن التي يتخيل أنها صاروخ في الطريق إلى كوكب الزهرة.

– أمي! ماذا يحدث؟! لا توجد إجابة، والسيدة "كيرتن" تبدو مشغولة كما هو الحال دائمًا، وهي تنشط في غسل الأطباق. وقال "إرني كيرتن" مرة أخرى:

– توجد سيارة بوليس بالضبط في مواجهة المنزل. وقالت السيدة "كيرتن" وهي تضع الفناجين والصحون الصغيرة فوق المصفاة بضجيج:

– ألا تريد أن تكف عن الأكاذيب، فانت تعرف ماذا أفعل. فقال "إرني" كملاك:

– إني لا أكذب مطلقًا، إنها سيارة البوليس ويخرج منها رجلان. واستدارت السيدة "كيرتن" بحماس تجاه ابنها وقالت:

– ماذا فعلت؟ هل سببت لنا مشاكل أخرى؟ فقال "إرني" :

– بالتأكيد لا، لم أفعل أي شيء. فقالت السيدة "كيرتن" :

– إنه مع "آلف" هو وعصابته، لقد قلت لك ولأبيك كذلك إنهم سوقيون، وهذا الأمر ينتهي دائمًا إلى شر، فأولا إنها محكمة الأطفال ثم إصلاحية الجانحين دون شك، لاأريد مثل ذلك، هل تسمع؟ وأعلن "إرني" :

– إنهم على الباب. فتركت آنية المائدة وذهبت مع طفلها إلى المائدة، وتمتمت:

– هذا حقيقي! وفي هذه اللحظة رن شاكوش الباب، وبعد أن نشّفت يديها بسرعة ذهبت السيدة "كيرتن" لتفتح الباب وهي حذرة وعيناها شرستان. تفرست في الرجلين من أعلى إلى أسفل وقال أطول الرجلين:

– السيدة "كيرتن" ؟ فقالت:

– نعم أنا. فقال:

– أنا المفتش "هاردكسل" هل يمكن أن أجلس معك لحظة؟ وعلى مضض انزوت السيدة "كيرتن" وفتحت الباب فجأة وأدخلت المفتش في حجرة صغيرة نظيفة ومرتبة؛ مما يعطي انطباعًا بأن لا أحد يدخلها إلا نادراً، وهو انطباع مؤكد لذلك. واستعلم المفتش بأدب:

– هل هذا ابنك؟ وقالت السيدة "كيرتن" مؤكدة:

– نعم. وأضافت بعنف:

– وهو طفل طيب خدوم وفقًا لما تعتقد. فقال "هاردكسل" بمحبة:

– إني اقتنعت بذلك. ورويداً رويداً تلاشى حذر السيدة "كيرتن" . فقال المفتش:

– جئت لأسألك بعض الأسئلة عن المنزل رقم 19 بشارع "ويلبراهام كريسنت" أنت تعملين هناك على ما أعتقد؟ وقالت السيدة "كيرتن" كمدافعة:

– لم أقل مطلقًا العكس. وقال المفتش:

– عند السيدة "ميليسنت بيمارش"؟ فقالت:

– نعم إنني أعمل معها، إنها سيدة رقيقة وذات ذوق. وقال "هاردكسل":

– هل هي عمياء؟ فقالت:

– نعم سيدة مسكينة، ولكننا لا نعتقد ذلك عندما نراها تسير في اتجاه منزلها، وتجد كل ما تريد، فهذا شيء غريب، كما أنها تخرج كذلك وتعبر الشوارع. وقال "هاردكسل":

– أنت تذهبين إليها في الصباح؟ فقالت:

– بالضبط، فإني أصل هناك في العاشرة إلا الربع أو العاشرة، وأترك منزلها في الثانية عشرة عندما أنتهي من عملي. ثم أضافت بصوت خشن:

– هل سُرق منها شيء ما؟ وقال المفتش الذي كان يفكر في الساعات الدقاقة:

– العكس. فقالت:

– ما هو الشيء السيئ الذي حدث إذن؟ فقال المفتش:

– لقد وجدنا ميتًا في البهو في فترة ما بعد ظهر اليوم. وذهلت السيدة "كيرتن" وتفجر "إرني" ضاحكًا وفتح فمه وكان على وشك أن يقول: "أوه!" ولكن اعتقد أنه من الأحكم ألا يجذب الانتباه إليه فأغلق فمه، فقالت السيدة "كيرتن" غير مصدقة:

– ميت؟! وأضافت وهي تشك:

– وفي البهو؟ فقال المفتش:

– نعم، لقد طُعن بخنجر. فقالت:

– تريد أن تقول إنه اغتيال؟ فقال:

– نعم إنه اغتيال. وقالت السيدة "كيرتن":

– ومن فعل ذلك؟ فقال:

– للأسف، لم نصل بعد إلى ذلك، ونعتقد أنه يمكن أن تستطيعي مساعدتنا. فقالت السيدة "كيرتن" بصفة قاطعة:

– إني لا أعرف شيئًا عن الجريمة. فقال:

– لا، لكن يوجد شيء أو شيئان يثيران اهتمامنا، فعلى سبيل المثال في هذا الصباح

هل قرع رجل ما الباب؟ فقالت:

– لا، لا أتذكر، ليس اليوم، ما شكله؟ فقال:

– رجل مسن عمره ستون سنة، وجهه أسمر تمامًا مُهندم، ربما كان وسيط تامينات. فقالت السيدة "كيرتن":

–ما كنت قد أدخلته المنزل، فمعي لا داعي إلى التأمينات، ولا الموسوعة الإنجليزية أوالمصاصات، فالسيدة "بيبمارش" لا تشجع المبيعات من الباب إلى الباب، ولا أنا كذلك.

– وفقًا لبطاقة الزيارة هذا الرجل يدعى "كاري"، هل سمعتِ من قبل هذا الاسم؟ فقالت:

– "كاري"؟ "كاري"؟ وهزت السيدة "كيرتن" رأسها، وتساءلت وهي حذرة:

– من وجده؟ السيدة "بيبمارش"؟ فقال:

– لا، كاتبة آلة كاتبة شابة، فبعد سوء فهم كانت تعتقد أن "بيبمارش" تحتاج إلى خدماتها، فهي التي اكتشفت الجثة، وبعد ذلك على الفور دخلت "بيبمارش". وتنهدت السيدة "كيرتن" وهي تقول:

– أي قصة! أي قصة! وقال المفتش:

– يمكن أن نطلب منك أن تأتي وتشاهدي الجثة لتعرفي ما إذا كان هذا الرجل قد جاء إلى "ويلبراهام كريسنت"، وقد أكدت السيدة "بيبمارش" أنه لا، ويوجد شيء آخر، هل تستطيعين أن تقولي لي من الذاكرة كم ساعة دقاقة في بهو "بيبمارش"؟ فأجابت السيدة "كيرتن" دون تردد:

– في الركن توجد الساعة الدقاقة الكبيرة، وعلى الحائط ساعة الوقواق، وهو يخرج ويقول "قوقو"، وكان يرجفني أحيانًا. وأضافت بسرعة:

– أنا لم ألمسه، فأنا لا ألمسهما مطلقًا، فالسيدة "بيبمارش" تنظفهما وتضبطهما بنفسها. وقال "هاردكسل" وهو يطمئنها:

– لم يحدث لهما أي شيء، وهل أنت متأكدة أنه لم يوجد سوى هاتين الساعتين الدقاقتين في الشقة في الصباح؟ فقالت:

– بالتأكيد، كيف تريد أن يكون هناك ساعات دقاقة أخرى؟ أي فكرة غريبة! وقال:

- ألم يوجد هناك على سبيل المثال منبه صغير من المعدن المطلي بالذهب على المدفأة، وكذلك ساعة دقاقة صغيرة بها ورد إطارها من الجلد مكتوب عليه "روزماري"؟ فقالت:

- لا! لكن ما هذا الخلط؟ فقال:

- إذا كانت هناك كنتِ قد لاحظت وجودها، أليس كذلك؟ فقالت:

- دون شك. فقال:

- هل تستطيعين أن تقولي لي بالضبط الوقت الذي تركتِ فيه المنزل؟ فقالت السيدة "كيرتن":

- في الساعة الثانية عشرة والربع إلا دقيقة تقريبًا ظهرًا. فقال:

- هل السيدة "بيبمارش" كانت قد عادت في هذه اللحظة؟ فقالت:

- لا، ليس بعد، في العادة هي تعود ما بين الثانية عشرة ظهرًا والثانية عشرة والنصف، لكن هذا يختلف. فقال:

- وكانت قد خرجت منذ متى؟ فقالت:

- قبل أن أصل، أنا أذهب هناك في العاشرة. فقال:

- جيد، شكرًا يا سيدتي "كيرتن". فقالت:

- يبدو غريبًا أمر هذه الساعات الدقاقة، إلا إذا كانت السيدة "بيبمارش" قد اشترتها. فقال:

- وهذا الأمر يحدث لها غالبًا؟ فقالت:

- منذ أربعة أشهر أحضرت ملاءة سرير من جلد الماعز ليست غالية وحالتها جيدة، وستائر من القطيفة إضافة إليها، وكان يجب تقصيرها، ولكنها كانت جديدة تقريبًا. وقال:

- بصفة عامة هل تشتري تحفًا، أو لوحات فنية، أو خزفًا صينيًا، وأخيرًا هل تشتري كل ما تجده من أشياء مستعملة؟ فقالت السيدة "كيرتن":

- لا، ليس لي علم بذلك، وهل نعرف مطلقًا في جميع المبيعات؟ نحن مازلنا نتمرن وعندما ندخل منزلنا نتساءل مع أنفسنا فيما ستستخدم هذه الأشياء، وقد اشتريت يومًا ستة برطمانات من المربى، وأفكر في أن ذلك سيكلفني أقل إذا عملتها بنفسي، وفناجين وصحونًا صغيرة. وعندما علم المفتش أنه لن يحصل على أي معلومات إضافية، كف عن

الكلام وأخذ إجازة. قال "إرني" بعد أن خرجا:

– اغتيال هكذا شيء يستحق الإعجاب. فكف لحظة عن الاهتمام بغزو الفضاء من أجل موضوع الساعة هذا الأكثر تشويقاً، واقترح وهو مفتون:

– أليست السيدة "بيبمارش" هي التي قامت بعملية القتل؟ فقالت له والدته:

– كف عن الحماقات (ثم تملكها الشك) إني أتساءل عمّا إذا كنت قد قلت له؟ فقال ابنها:

– تقولين ماذا يا أمي؟ فقالت السيدة "كيرتن":

– لا تهتم، فهذا الأمرغير مهم.

الفصل السادس

بعد أن التهمنا أنا و"هاردكسل" شرائح لحم جيدة، أصدر "هاردكسل" تنهداً بارتياح وقال لي إنه يشعر بأن حالته أفضل، فقال:

– لنذهب إلى الشيطان.. وكالات التأمين، والساعات الدقاقة، والفتيات الهستيريات! هيا، كيف أصبحت يا "كولن"؟ اعتقدت أنك على بعد آلاف الكيلومترات من هنا، وأنت تتسكع في شوارع "كرودين"، وإذا أردت رأيي بالنسبة إلى البيولوجيا البحرية، فهذا ليس المكان الذي تحلم به. فقلت:

– هيا يا "ديك"، كف عن السخرية والتهكم، فعلم الأحياء البحرية نافع جداً، وما إن ننطق بهذا الاسم حتى يتملك الناس خوفٌ وقلق إلى الدرجة التي تجعلهم لا يطرحون أي أسئلة. فقال "هاردكسل":

– وهكذا لا يوجد خطر من الخيانة. فقلت:

– هل نسيت أن الدبلوم الذي حصلت عليه في "كمبريدج" – دون ذكر أنه صحيح، ولكنه دبلوم مع ذلك – هو بالضبط دبلوم في الأحياء البحرية؟ وهذا شيء شائق، ويوماً ما سأعود إلى هذا العمل. فقال "هاردكسل":

– طبيعيًّا، إني أعلم بكل ما تعمل، في هذه اللحظة أقدم التهاني، وقضية "لاركن" ستترافع عنها الشهر القادم أليس كذلك؟ فقلت:

- بلى. فقال:

- إن الطريقة التي استطاع أن ينقل بضاعته بها مدهشة منذ ذلك الوقت دون أن نفاجئه مطلقًا، أليس كذلك؟ فقلت:

- مطلقًا، فما أن يصنف شخص ما على أنه شريف، حتى يكون من الصعب أن نبدل الرأي. ولاحظ "ديك" وقال:

- يجب أن يكون لئيمًا جدًا. فقلت:

- ليس أكثر من ذلك، فبالنسبة إليّ كان ينفذ فقط تعليمات، وكانت له حرية الوصول إلى مستندات مهمة جدًا كان يحملها بكل حرية، وكان يعطيها للتصوير ثم يعيدها إلى مكانها في اليوم نفسه، وهو تنظيم ممتاز، وكان يرتب بأن يتناول غداءه كل يوم في مكان مختلف، وكنا نعتقد أنه يجب أن يتناول رشوته بالقرب من شخص آخر مشابه، ولايحمل الرشوة دائمًا الشخص نفسه. ودون أن يتحدث الرجل أو "لاركن" مطلقًا إلى بعضهما يحدث تبادل الرشوة، ونود أن نعرف الكثير عن هذا النظام المنسق بروعة إلى أقرب ثانية، وخلف كل ذلك يوجد مخ. وقال "هاردكسل":

- هذا يفسر لماذا ما زلت تتسكع بالقرب من القاعدة البحرية لـ "بورتلبُري"؟ وقلت:

- نعم، نعرف الطرفين من السلسلة أو الشبكة، الا وهما القاعدة و"لندن". كما نعرف أين ومتى سيحصل "لاركن" على نقوده، ولكن ما بين الاثنين توجد فجوة، اي حيلة صغيرة نبحث عن اكتشافها؛ لأن العقل المحرك يوجد في هذا المكان، فعند النقطة X يوجد الحي العام مع تخطيطه الملحوظ الذي يخطط الطرق ليس مرة، لكن على الأقل سبع أو ثماني مرات. وسأل "هاردكسل" بشغف:

- لماذا يلعب "لاركن" هذه اللعبة؟ هل له أيديولوجية؟ أو ابتكار؟ أو من أجل منفعة؟ فأجبت:

- لا، إنه ليس صاحب أيديولوجية، فهو يحب النقود، وهذا كل شيء. وقال:

- كنت تستطيع أن تقبض عليه قبل ذلك؟ فهو يصرف هذه النقود، أليس كذلك؟ أم أنه يخفيها؟ وقلت:

- أوه! لا، إنه يبذر هذه النقود وأكثر منها، وفي الواقع لقد اكتشفناه منذ فترة طويلة دون أن يعرف. ووافق "هاردكسل" وقال:

- أنا أفهم، فلقد أحسنتم التقدير ثم انتظرتم لحظة، أليس كذلك؟ وقلت:

- أكثر أو أقل، فقد كان قد نقل منذ قليل معلومات مهمة جداً، وطلبنا منه أن يرسل معلومات أخرى مهمة على ما يبدو، ففي خدمتي دور الأبله مكلف من وقت إلى آخر. وقال "هاردكسل" وهو يفكر:

- لا أعتقد أن هذا النوع من العمل يعجبني يا "كولن" . وقلت:

- بكل وضوح، فهو لا يثير كذلك الاهتمام كما يتخيل الناس، وهو بصفة عامة رتيب جداً. ونظر إليّ "ديك" نظرة تثير الاهتمام، وقال:

- إني أفهم جيداً وجودك في "بورتلبُري"، لكن ما سبب وجودك هنا، وفي "كرودين" التي على بعد ستة عشر كيلومترا من هنا؟ وقلت:

- لكي أجد فيها أهلّة. فقال:

- أهلّة؟ وقلت:

- نعم، أو بالأحرى لكي أجد اقماراً، أيْ أقماراً جديدة، وأقماراً متكاثرة، وأقماراً متناقصة وهلم جراً، وبدأتُ أبحث في "بورتلبُري" فكانت هناك حانة "كرواسون دي لين" ! وكانت جميلة جداً، وقد قضيت فيها وقتًا ليس بالقليل، ثم كان هناك "لا لين ولي إتوال" (القمر والنجوم) و"ألا بلين لين" (إلى القمر الكامل) ولكن بلا جدوى، فلنترك الأقمار تتساقط فإني حينئذ مكرس للأهلة، وكان هناك كثير من الأهلة في "بورتلبُري" و "هلال لانسبُري" من "ليفرميد دي فكتوريا" . وأمام الاندهاش المتصاعد لـ "ديك" انفجرتُ ضاحكًا وقلت:

- "ديك"، لا تفكر فيّ هكذا، فلم أرحل هكذا في مهب الريح. وفتحت محفظتي ونزعت منها ورقة من فندق وبسطتها وعليها رسم خشن، هذا الرسم عبارة عن:

هلال 61 - فندق "بارنجتون"
W- شارع "بارنرز"
"لندن" W. 2

وقال "ديك" :

- لقد وجدنا هذه الورقة في محفظة "هانجري" وهو أحد رجالنا الذي عمل كثيراً في هذه المسألة، فقد كان واحداً من أحسن مخبرينا، وقلبته سيارة في "لندن" دون أن نرفع

رقمها، وحقيقة القول إني أتساءل عما إذا كان ذلك يعني شيئًا ما كان "هانجري" يعتقد أنه مهم قد دونه أو نسخه، من يعرف؟ أو شيئًا ما رآه أو سمعه، وعلى كل حال، يتصل بالقمر أو هلاله الحرف الأساسي W والعدد 61، وأنا أحل مكانه الآن، وإني أعمل في منطقة ما فيما حول "بورتلبُري" دون أن أعرف جيدًا ما أبحث عنه، فقد اقتنعت بأن هناك شيئًا ما سأجده هناك. فبعد ثلاثة أسابيع من العمل الدؤوب لم أجد بصيصًا من أمل، فهناك لايوجد سوى هلال واحد وهو هلال "ويبلراهام"، وجئت لعمل جولة صغيرة لرؤية ماذا يشبه الرقم 61 قبل أن أتصل بك هاتفيًا لأسالك عن أخبار (أسرار)، ولكن هذا الرقم 61 من المستحيل إيجاده.

– لقد قلت لك إن مقاولا بالحي يسكن في هذا الرقم. فقلت:

– دون أهمية بالنسبة إليّ إلا إذا كان عنده خادمة أجنبية؟ فقلت:

– من الممكن، وهذا أمر شائع في أيامنا هذه، على أي حال يجب أن يعلن عنها عندنا، وسأعلمك غدًا. فقال:

– شكرًا يا عجوز. قلت:

– ومن ناحية أخرى وفقًا للعملية التقليدية سوف نسأل ساكني البيوت من كل جانب للمنزل رقم 19، وأستطيع أن أضيف البيت الذي يقع بالضبط خلفهما والحديقة التي تتوسطهما، وهذا لا يدهشني أن يكون هو المنزل رقم 61، وإذا كان القلب يقول لك يمكن أن تصطحبني. قبلتُ دون إلحاح. وأخذت موعدًا في اليوم التالي صباحًا الساعة التاسعة والنصف في قسم البوليس. وعندما وصلتُ في الساعة المعينة وجدت صديقي مجنونًا من الغيظ، وما إن أرسل مأموره الحزين حتى سألته بحصافة عن السبب، وظل لحظة غير قادر على الحديث، وانفجر فجأة وقال:

– هذه الساعات الدقاقة التي تثير الحزن! وقلت:

– أيضًا هذه الساعات الدقاقة؟ ماذا حدث لها؟ فقال:

– نقصت واحدة منها. فقلت:

– أي واحدة؟ فقال:

– المنبه ذو الإطار الجلدي المكتوب عليه "روزماري". فقلت:

– شيء غير عادي، كيف حدث ذلك؟ وأضاف "ديك" بمنتهى الموضوعية:

- أي أغبياء! وأنا كذلك، وإذا أردنا ألا يُسرق أي شيء يجب دائمًا أن نضع النقاط على الحروف، فأمس كانت الساعات الدقاقة في البهو، وقد جعلت السيدة "بيبمارش" تختبرها لنعرف ما إذا كانت تعرفها، ثم جاءوا ليحملوا الجثة. قلت:

- وبعد ذلك؟ فقال:

- وطلبت من "إدوارد" أن يحزمها برفق وأن يحضرها كلها هنا ما عدا ساعة الوقواق والساعة الكبرى، وهنا كنت مخطئًا، فقد كان عليّ أن أحدد أربع ساعات، وقد أكد لي "إدوارد" أنه نفذ أوامري في الحال، ويتمسك بأن ما عدا الساعتين الدقاقتين المعلقتين على الحائط لم يكن يوجد سوى ثلاث ساعات دقاقة أخرى. فقلت ملاحظًا:

- كان يجب أن يعملوا بسرعة، دون تباطؤ... فقال:

- إن "بيبمارش" يمكن أن تكون قد قامت بالعملية، وذلك بأن أخذت المنبه عندما تركنا الشقة وحملته إلى المطبخ. فقلت:

- يمكن، لكن لماذا؟ فقال:

- نحن لا نعرف كثيراً عن الموضوع، فلنر من هو الشخص الآخر الذي يمكن اتهامه... ربما تكون الفتاة الشابة. فقلت بعد لحظة من التفكير:

- لا أعتقد. ثم تذكرت فجأة وتوقفت، فقال "هاردكسل":

- إنها إذن هي، فهيا تتبَّع متى فعلت ذلك. فقلت بكل حزن:

- ونحن ذاهبون إلى سيارة البوليس كانت قد نسيت قُفَّازيها، وعندما اقترحت عليها أن نذهب لنبحث عنهما أجابتني: "أوه! إني أعرف جيداً أين يوجدان"، ثم ذهبت مسرعة، ولاحظتُ أنها لم تمكث سوى ثانية واحدة. وقال:

- وعندما عادت إليك كان معها القفازان؟ فقلت متردداً:

- نعم... نعم، أعتقد. فقال "هاردكسل":

- لم يكونا معها بالتأكيد، وإلا لما ترددت. وقلت:

- يمكن أن تكون قد أدخلتهما في حقيبتها. فقال "هاردكسل" وهو يبدو رافضًا:

- المشكلة أنك وقعت في حب هذه الفتاة. فقلت مدافعًا عن نفسي:

- لا تتفوه ببلاهات، فإني رأيتها أمس للمرة الأولى ولا نستطيع أن نقول إننا تعرفنا بطريقة رومانسية. فقال "هاردكسل":

– إني متأكد من ذلك، فلن تندفع فتاة شابة بين ذراعي رجل شاب وهي تصرخ "الحقني.. أغثني" على الطريقة الفكتورية التقليدية الأكثر تأثيراً! فالرجل يشعر بأنه بطل، ومدافع مولود من جديد، فقط قف يا مسكين! فمن يعرف ما إذا كانت هذه الفتاة الشابة منغمسة حتى رقبتها في قضية القتل هذه؟ وقلت:

– لا تدعني أعتقد أن هذه الفتاة النحيفة الصغيرة قد طعنت رجلا، وأنها أخفت جيداً خنجرها إلى الدرجة التي لم تجعل أحداً من حراسك المرافقين يستطيع أن يكتشفه، وبعد ذلك – بدم بارد – اندفعت إلى الخارج لتعمل المشهد الكبير رقم (1)؟ فقال "هاردكسل" وهو كئيب:

– أنت لا تتخيل ما يمكن أن نراه في مهنتنا. فقلت وأنا مغتاظ:

– لا يبدو أنك تفهم أني أمضي حياتي بين جاسوسات فاتنات من كل الجنسيات. ومع ذلك فقد حدث ذلك إلى الدرجة التي تجعل طعم الشراب لا يشعر به شخص أمريكي عادي، فصدقني إني معقَّم ضد الخدع الأنثوية أيًّا كانت. وقال "هاردكسل":

– سوف ننتهي كلنا في "واترلو" يكفي أن تلاقي شخصها المثالي، ويبدو لي أن "شيلا ويب" لك. وقلت:

– على كل حال لا أفهم لماذا تريد أن تلزق ذلك الاتهام على ظهرها بصفة مطلقة. فقال وهو يئن:

– ليس لأني أتمسك بذلك، لكن يجب أن توجد نقطة بداية، فالجثة قد وُجدت عند السيدة "بيبمارش" وهي المشتبه فيه رقم واحد لدينا، بواسطة من؟ بواسطة "شيلا" الشابة، لا داعي إلى أن أقول لك إن أول شخص اكتشف رجلا ميتًا هو في أغلب الأحيان آخر شخص شاهده وهو حي، في انتظار ما هو أحسن فإننا نتوجه تجاه هاتين الاثنتين. فقلت:

– عندما دخلتُ الشقة كان الرجل المعني ميتًا منذ نصف ساعة على الأقل، فبم تجيب عن ذلك؟ فقال:

– بأنه فيما بين الساعة الواحدة والثلاثين دقيقة بعد الظهر والساعة الثانية والثلاثين دقيقة بعد الظهر كانت "شيلا" قد تغيبت من أجل تناول الغداء. ونظرت إليه بغيظ وقلت:

– و "كاري" ؟ ماذا عرفت عنه؟ فأجابني "هاردكسل" بمرارة وخشونة:

– لا شيء. فقلت:

– ماذا تعني بلا شيء؟ فقال:

– أي أننا لا نعرفه، وهو غير موجود. وقلت:

– ماذا تقول عنه شركة تأمينات "متروبوليس" ؟ فقال:

– لا شيء ما دامت هي كذلك غير موجودة. وفيما يخص الأستاذ "كاري" من شارع "دنفر"، فلا يوجد الأستاذ "كاري" ولا يوجد شارع "دنفر"، ولا يوجد رقم 7 ولا يوجد مع ذلك أي رقم. وقلت:

– شيء يثير الاهتمام، وفقًا لرأيك كانت إذن كروت زيارة مزيفة، وعنوانًا مهنيًا خياليًا؟ فقال:

– على ما يبدو. وقلت:

– أين الخدعة وفقًا لرأيك؟ فهز "هاردكسل" كتفيه استخفافًا وقال:

– في هذه اللحظة نحن نقوم بالتخمين، ربما يكون قد حصل على أقساط تأمين من أجل الخدعة، كوسيلة بالنسبة إليه للدخول إلى الأشخاص، وليدبر سرقة على الطريقة الأمريكية، ويمكن أن يكون محتالا أو نصابًا بالتهديد، أو مخبراً بوكالة خاصة أو حتى هاويًا يسرق التحف، ونحن لا نعرف أي شيء. وقلت:

– ولكن ذلك لن يدوم. فقال:

– أوه! بالتأكيد سيأتي اليوم وسوف نتحقق من بصماته، وإذا وجدنا أثره فسوف نكون قد قمنا بخطوة كبيرة، وإلا فإن هذا الموضوع سيتلزم أكثر من ذلك. وقلت وأنا أفكر:

– شخص خاص.. إني أحب ذلك كثيراً، فهذا يفتح آفاقًا... متى ستقدمون القضية إلى المحكمة؟ فقال:

– بعد غد، والقاعدة المألوفة هي أنه ستؤجل الجلسة عند الافتتاح. وقلت:

– ما هي نتيجة تشريح الجثة؟ فقال:

– آه! مطعون بواسطة أداة حادة مثل نوع سكينة المطبخ على سبيل المثال. وقلت:

– وهذا يميل إلى تنحية السيدة "بيبمارش"؛ لأنه يبدو من الصعب على عمياء أن تطعن رجلا، وفي الواقع هل هي حقيقة عمياء؟ فقال:

- دون أي شك، فقد تحققنا من كلماتها وكلها حقيقية، فعندما كانت تعلم الحساب في مدرسة بشمال البلاد منذ ستة عشر عامًا فقدت نظرها، فأخذت تتعلم "بريل" وما يتبعها، وانتهى بها الأمر بالحصول على عمل بمعهد "أرنبرج". وقلت:

- يمكن أن تكون مجنونة، أليس كذلك؟ فقال:

- تستبد بها فكرة عن الساعات الدقاقة ووكالات التأمين على نحو غير سوي. فقلت:

- هذه القضية غير عادية. وأظهرت حماسًا خفيفًا دون إرادة، وأضفت:

- نعتقد أنها من تأليف "آريان أوليفيه" في أردإ رواياته، أو الراحل "جاري جريجسون" في لحظات عبقريته. فقال:

- هيا اسخر مني جيداً، فلست أنت المتسامح المسكين المسؤول عن هذا التحقيق أمام أعين رؤسائك! وقلت:

- لنأمل أنك تستطيع أن تسحب شيئًا ما من الجيران. وقال "هاردكسل" بمرارة:

- إني أشك، حتى لو اغتيل في وسط الحديقة بالضبط ونقل بواسطة رجلين مقنعين إلى المنزل، فلن يعرف ذلك أحد أو أي شخص، ولا أحد نظر من النافذة، لسوء الحظ في الريف هنا "ويلبراهام كريسنت" تسكنه الطبقة البرجوازية، ومنذ الساعة الواحدة السيدات اللاتي يعملن في البيوت واللاتي ينظرن إلى جيوبهن غير موجودات، ولاتوجد سيارة ولا طفل يجول من هنا. فقلت:

- ألا يوجد عجوز ذو عاهة يجلس طوال اليوم أمام نافذته؟ وقال:

- سيكون ذلك شيئًا نموذجيًا، لكن لا... لا أحد. قلت:

- وفي المنزل رقم 18؟ أو رقم 20؟ فقال:

- في المنزل رقم 18 نجد السيد "ووترهاوس" وأخته، وهو رئيسيٌّ لدى وكيلي الدعاوى "جنزفورد" و "سويتنهام"، وأخته تهتم بصفة رئيسية به، أما بالنسبة إلى المنزل رقم 20 فكل ما نعرف أن سيدة تعيش هناك وتربي على الأقل عشرين قطة... وتعاطفت معها لبؤس حياتها وعلى هذا رحلنا.

الفصل السابع

على سلالم المنزل رقم 18 نظر الأستاذ "ووترهاوس" نظرة قلقة إلى أخته وقال وهو متردد:

– هل أنت واثقة بأنه لن يحدث لك شيء؟ فقالت أخته وهي مدمدمة ومغتاظة:

– أخيرًا يا "جيمس"، ماذا تريد أن تقول؟ وكان الأستاذ "ووترهاوس" دائمًا نادمًا ومنسحقًا في بيته، فصارت لديه طبيعة أخرى.

– إنه فقط يا عزيزي باعتبار ما حدث أمس... بجواري... أعتقد أنه... وكان الأستاذ "ووترهاوس" يستعد للخروج إلى دراسته وهو متأنق وشعره أشيب، وكان رجلا طويلا، منحني الظهر قليلا، وهو شاحب اللون وغير واضح المعالم مع أنه كان يبدو في صحة جيدة، أما السيدة "ووترهاوس" فقد كانت ذات تقاطيع بارزة، وكانت من هذا النوع من النساء الصارمات تجاه أنفسهن، واللاتي لا يتسامحن تجاه الآخرين، فقالت له أخته:

– أخيراً لماذا يا شيطان تريد أن تغتالني اليوم لأنه حدث اغتيال أمس عند الجيران؟

– لكن يا "إديث"، هذا يعتمد على القاتل الذي نهتم به.. فقالت أخته بدعابة:

– إذن، أنت تعتقد أنه يوجد شخص ما يتجول في "ويلبراهام كريسنت" لكي يختار ضحية من كل بيت؟ أريد أن أعرف من الذي يجرؤ أن يدخل هنا ليحاول أن يقتلني أنا؟ واعترف أخوها وهو يفكر في أن ذلك الأمر من الصعب قبوله، وإذا كان عليه أن يختار ضحية ففكرة أن تكون الضحية أخته بعيدة عنه؛ لأن هناك احتمالاً كبيراً بأن أخته في حالة الهجوم سوف تنهال ضربًا على من يواجهها بواسطة قضيب المدفأة أو قضيب من الحديد لكي تسلمه وهو مخضب بالدماء ومرتبك ومذهول إلى البوليس. وقال لها:

– أريد فقط أن أحذرك من... أوه... أوه... بعض الأشخاص المنحرفين الذين يتسكعون في النواحي. فقالت معللة:

– هل تعرف حقيقة ما حدث؟ لتقص بعض القصص عن ذلك. وفي هذا الصباح حتى السيدة "هيد" حكت لي أشياء غير عادية. فقال الأستاذ "ووترهاوس" الذي لم يكن يريد سماع ثرثرة خادمة منزلهم:

– بالتأكيد، بالتأكيد. ونظر إلى ساعته وقال:

– يا إلهي! سأكون متأخراً! حسناً إلى اللقاء يا عزيزتي، انتبهي لنفسك، ومن الأفضل لك أن تضعي السلسلة. وتذمرت السيدة "ووترهاوس" من جديد، وبعد أن أغلقت الباب خلف أخيها، وحينما همت بصعود السلالم غيرت رأيها وأمسكت عصا الجولف ووضعتها بعرض الباب لتتفادى أي هجوم، ووثقت بذلك بكل ارتياح وقالت لنفسها: "جيد! بالتأكيد "جيمس" يقول حماقات، لكن من الأفضل أن أحترس وأحتاط، فمع كل المجانين الذين تطلقهم مستشفيات المجانين بحجة أن يتأقلموا مع الحياة الجارية، يكون المساكين الأطهار أمثالنا في خطر!" وكانت السيدة "ووترهاوس" في غرفتها عندما اندفعت تجاهها السيدة "هيد"، سيدة صغيرة ممتلئة وتقفز مثل الكرة وأي شيء يثيرها – وقالت وهي مستثارة جداً:

– أستاذان يطلبانك، وأخيراً هما ليسا أستاذين ولكنهما رجلا بوليس. وعلى بطاقة الزيارة التي قدمتها لها قرأت السيدة "ووترهاوس": "مفتش "هاردكسل"" فسألتها السيدة "ووترهاوس":

– هل أدخلتِهما في حجرة الاستقبال؟ فقالت السيدة "هيد":

– لا، في غرفة الطعام، فقد جمعت الإفطار، ووجدت أنها جيدة جداً بالنسبة إليهما، فهما ليسا سوى البوليس بعد كل شيء. وأجابت السيدة "ووترهاوس" دون أن تفهم جيداً منطق هذا التفكير:

– إني آتية. وقالت السيدة "هيد":

– إنهما يريدان بالتأكيد أن يسألوك عن السيدة "بيبمارش"، وأن يعرفا ما إذا كانت تبدو لك غريبة، وهما يدعيان أن جنونها هذا ربما يلحق بك فجأة دون تحذير تقريباً، لكن بصفة عامة فإننا نراه من طريقتها في المناقشة. أو في عيون من يقول: "حسناً، فمع سيدة كذلك ليس ملائماً، أليس كذلك؟" آه! وحركت رأسها. ونزلت السيدة "ووترهاوس" ودخلت في غرفة الطعام وقد بدا شغف خفيف على طبعها العنيف دائماً، وقال "هاردكسل" وهو يقف:

– نهارك سعيد أيتها السيدة "ووترهاوس". وكان يصحب "هاردكسل" شابٌّ طويل أسمر اللون لم تتفضل السيدة "ووترهاوس" بمصافحته بينما كان يغمغم بصوت منخفض، واستطرد "هاردكسل":

– أتمنى ألا يكون الوقت مبكرًا لإزعاجك؟ ولكنك تخمنين بلا شك الشيء الذي أحضرني، بعدما حدث أمس عند جيرانك. وسلمت "ووترهاوس" للأمر وقالت:

– في العادة إن أي حادث اغتيال عند الجيران لا يمر دون أن يفطن له أحد، ولقد طردت مخبرين وصحفيين أو ثلاثة كانوا يريدون معرفة ما إذا كنت قد رأيت أو سمعت شيئًا ما. وأيدها "هاردكسل" بقوله:

– لقد أحسنت الصنع بطردهم، فهؤلاء الأشخاص يتدخلون في كل شيء، لكن أعتقد أنك قادرة على التخلص منهم. ولم تمنع السيدة "ووترهاوس" نفسها من إظهار سعادة خفيفة نحو هذا المديح. وقال "هاردكسل":

– أعتقد أنك لا تريدين أن نطرح عليك الأسئلة نفسها، لكن إذا كنت قد رأيت مصادفة شيئًا ما يمكن أن يهمنا سنكون شاكرين جداً لجميلك، وفي هذه الساعة كنت في بيتك على ما أعتقد، أليس كذلك؟ فقالت:

– إنني أجهل في أي ساعة ارتُكب حادث القتل. فقال:

– ما بين الواحدة والنصف والثانية والنصف بعد الظهر تقريبًا. فقالت:

– كنت بالتأكيد في منزلي. وقال "هاردكسل":

– وأخوك؟ فقالت:

– إنه لا يجيء للغداء، ومن الذي اغتيل؟ فلا يبدو أنه ورد اسمه في جريدتي. واعترف "هاردكسل" بذلك فقال:

– إننا نجهله. فقالت:

– مجهول؟ ولكن ليس مجهولا للسيدة "بيبمارش" مع ذلك؟ فقال:

– السيدة "بيبمارش" تؤكد أنها لم تكن تنتظر أحداً، وأنها لا تعرفه مطلقًا. فصرخت السيدة "ووترهاوس" وهي تقول:

– كيف يمكنها تأكيد ذلك بينما هي لا ترى أي شيء! فقال "هاردكسل":

– لقد وصفناه لها بكل دقة. وقالت:

– أي نوع من الرجال هو؟ وأخرج "هاردكسل" من ظرف صورة سلبية رديئة وأظهرها لها وقال:

– ها هو، هل تعرفين من يكون؟ وقالت السيدة "ووترهاوس" وهي تنظر إلى الصورة:

ـ لا، لا . . لم أره مطلقًا، أنا واثقة بذلك، يا إلهي! المسكين، إنه يبدو كرجل مهندم تمامًا. وهو غير مؤثر على الإطلاق قد يُعتقد أنه نائم فقط بناءً على هذه الصورة. وسكت المفتش "هاردكسل" معتقداً أنه من غير الضروري أن يقول لها إن هذه الصورة تم اختيارها على أنها الأقل قبحًا عند رؤيتها، ثم قال:

ـ إن الموت يأتي غالبًا أكثر رقة مما نعتقد، وبالنسبة إلى هذا الرجل لم يكن ليستطيع أن يتصور ما سيحدث له. قالت:

ـ وماذا تقول السيدة "بيبمارش" عن كل ذلك؟ فقال:

ـ إنها لا تفهم أي شيء. فقالت:

ـ إنه شيء مذهل. فقال:

ـ إذا كان يمكنك فقط أن تساعدينا، فحاولي أن تتذكري، أمس ما بين الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً والثالثة بعد الظهر، هل كنت في النافذة أو في الحديقة على ما يُحتمل؟ وفكرت السيدة "ووترهاوس" ثم قالت:

ـ نعم، كنت في الحديقة. . انتظر، أعتقد أنني قبل الواحدة بعد الظهر. في الساعة الثانية عشرة والخمسين دقيقة، صعدت لأغسل يديَّ ولأجلس إلى المنضدة. فقال:

ـ ألم تشاهدي السيدة "بيبمارش" وهي تدخل أو تخرج من منزلها؟ فقالت:

ـ أعتقد أنها دخلت. . فلقد سمعت صرير شبكتها، فلنقل بعد الثانية عشرة والنصف بقليل. فقال:

ـ هل تحدثت معها؟ فقالت:

ـ أوه! لا، لقد رفعت فقط عينيَّ عند سماعي هذا الصرير، فإنها الساعة التي ترجع فيها عادة بعد محاضراتها. وقال:

ـ هذا ما قالته لي السيدة "بيبمارش"، ثم خرجت بعد ذلك في حوالي الواحدة والنصف، فهل أنت متفقة على ذلك؟ فقالت:

ـ نعم. دون أن تستطيع أن تحدد الساعة بالضبط، وأضافت:

ـ لقد رأيتها تمر أمام شبكتي. فقال:

ـ آسف يا سيدتي "ووترهاوس"، هل قلت تمر أمام شبكتي؟ فقالت:

– شيء طبيعي! لقد كنت في غرفة الاستقبال التي تواجه غرفة الطعام هذه وهي تطل على الشارع، وتناولت قهوتي بعد الغداء، وجلست بالقرب من النافذة، وكنت أقرأ جريدة الـ"تايمز"، وعندما أدرت الصفحة اعتقدت أني لاحظت السيدة "بيبمارش" وهي تمر أمام شبكتي، فما هو المدهش في ذلك أيها المفتش؟ فقال "هاردكسل" وهو يضحك:

– أوه! لا شيء مهم، وإلا كنت اعتقدت أني فهمت أن السيدة "بيبمارش" خرجت لتذهب إلى صندوق البريد وتشتري بعض الحاجات، أليس الطريق أقصر في هذه الحالة من الناحية الأخرى؟ فردت عليه السيدة "ووترهاوس":

– كل شيء يعتمد على المحلات أو الدكاكين التي سنذهب إليها، وبالتأكيد من الناحية الأخرى صندوق البريد وتجار شارع "ألباني" هم الأقرب. وقال:

– ربما تكون السيدة "بيبمارش" قد اعتادت أن تمر أمامكما في هذه الساعة. فقالت:

– يا إلهي! لا أعرف في أي ساعة تخرج ولا في أي اتجاه، فليس لديّ وقت لمراقبة جيراني أيها المفتش، فلديّ الكثير لأعمله، لا أهتم بالآخرين ولست مثل البعض... وبصوتها الخشن لم يشك المفتش في أن السيدة "ووترهاوس" تفكر في شخص آخر بصفة خاصة. واستطرد "هاردكسل" بسرعة:

– بالتأكيد، بالتأكيد. ثم أضاف:

– يمكن أن تكون قد ذهبت لكي تتصل بالتليفون، أليس التليفون العمومي موجوداً في هذا الجانب؟ فقالت:

– بلى، في مواجهة المنزل رقم 15. فقال:

– وها هو سؤالي الأكثر أهمية يا سيدتي "ووترهاوس": ألم تريْ دخول هذا الرجل، هذا الرجل الغامض كما تسميه الصحف؟ فقالت السيدة "ووترهاوس":

– نعم لم أره، لا هو ولا أيّ شخص آخر. فقال:

– ماذا كنت تعملين فيما بين الساعة الواحدة بعد الظهر والثالثة بعد الظهر؟ فقالت:

– قضيت نصف ساعة تقريباً في حل الكلمات المتقاطعة بجريدة الـ"تايمز" حتى الوقت الذي كان يجب أن أذهب فيه إلى المطبخ لأغسل أواني المائدة للغداء. وبعد ذلك كتبت رسالتين وبعض الشيكات، ثم صعدت لأفرز الملابس لأحملها إلى منظف الثياب، وفي

هذه اللحظة – على ما أعتقد – سمعت ضوضاء عند الجيران، وعندما سمعت أصواتًا ذهبت مباشرة إلى النافذة. وأمام الشبكة كان يوجد رجل شاب مع فتاة شابة بين ذراعيه على ما يبدو. وعند هذه الكلمات حدثت رعشة خفيفة للرقيب "لامب" ولكنها لم تشد مطلقًا انتباه السيدة "ووترهاوس" التي كانت على وشك الاقتراح بأن هذا هو الرجل الشاب المعنيّ. وقال "هاردكسل" :

– ألم تريْ السيدة "بيبمارش" وهي تدخل منزلها قبل ذلك بقليل؟ وأجابت السيدة "ووترهاوس" :

– نعم، فإني لم أنظر من النافذة إلا عندما سمعت انطلاق هذه الصرخة غير العادية، وعلى أية حال لست قلقة من أي شيء، فالشباب لهم طرق لافتة للنظر كالصياح، والتدافع بقوة، والقهقهة، وأخيراً عمل الكثير من الأصوات المختلفة، ولم آخذ هذا الأمر بجدية، وعلى أية حال ليس قبل وصول سيارات البوليس. وقال "هاردكسل" :

– ألم تريْ شيئًا آخر لتقوليه لنا؟ فقالت :

– لا شيء حقيقة. فقال :

– ألم ترسلي منذ فترة وجيزة بيانًا تمهيديًا للتأمينات يعلن عن زيارة سمسار؟ فقالت :

– لا، على الإطلاق. فقال :

– ألم تتسلمي رسائل موقعًا عليها اسم "كاري" ؟ فقالت :

– "كاري" ؟ مطلقًا على مدى الحياة. وقال :

– وهذا الاسم لا يذكرك باي شيء؟ فقالت :

– لا مطلقًا، لماذا إذن؟ وضحك "هاردكسل" وقال :

– هذا أحسن، فإنه اسم الميت، وعلى الأقل هو الاسم الذي نسبه إلى نفسه. فقالت :

– وهل هذا ليس اسمه؟ فقال :

– لدينا انطباع بأنه ليس اسمه. فتساءلت السيدة "ووترهاوس" :

– إنه نوع من النصب إذن؟ فقال :

– لا نستطيع أن نثبت أي شيء دون أدلة. فقالت :

– لحسن الحظ، لحسن الحظ، يجب أن نكون حذرين، إني أعرف ذلك، وليس مثل

بعض الأشخاص هنا الذين يقولون أي شيء، ولذا نتساءل لماذا لا نلاحقهم بسبب نميمتهم؟ وقال "لامب" الشاب مصححًا قولها وهو يفتح فاه للمرة الأولى:

– قذف أو تشنيع. ودهشت السيدة "ووترهاوس" التي كانت تنظر إليه كما لو كانت لا تعي بوجوده كشخص، واعتبرته فقط مكملا للمفتش "هاردكسل" وقالت:

– أنت ترى أني آسفة لأني لم أستطع أن أساعدك. وأجاب "هاردكسل":

– وأنا كذلك، فشهادة شخص ما ذكي مثلك مع حكمتك وقدراتك على الملاحظة نافعة جدًا بالنسبة إلي. فقالت وهي تزايد:

– إذا استطعت فقط رؤية شيء ما. وكان صوتها فجائيًا ورومانسيًا مثل فتاة شابة. وسألها المفتش:

– وأخوكِ؟ فقالت السيدة "ووترهاوس" بتعجب واحتقار:

– "جيمس"؟ لا خطر منه! فهو لا يعرف أي شيء. ومع ذلك فقد كان في مكتبه. أوه! "جيمس" لا يستطيع قط أن يفعل أي شيء بالنسبة إليكم، وكما قلت لك إنه لا يرجع أبدًا ليتناول غداءه. فقال:

– أين يأكل في العادة؟ فقالت:

– أوه! هو لا يتناول سوى سندويتشات وقهوة في مطعم للوجبات الخفيفة. فقال:

– شكرًا يا سيدتي "ووترهاوس"، نحن نأسف لمضايقتك لفترة طويلة. ووقف ومر بالمدخل حيث اصطحبتهما السيدة "ووترهاوس"، وقال "كولن" وهو يمسك بعصا الجولف التي كانت موضوعة على الباب ويؤرجحها بيده:

– عصا جولف جيدة، إنك تتزينين بما هو رديء وفقًا لرؤيتي يا سيدتي "ووترهاوس"؟ وارتبكت السيدة "ووترهاوس" وقالت:

– حقيقة إني لا أفهم على الإطلاق ماذا تفعل عصا الجولف هذه في هذا المكان؟ ونزعتها من يديه ووضعتها في جرابها، وعندما صارا خارج المنزل تنهد "كولن" وقال:

– على الرغم من كل التملق الذي أبديته نحوها لم تحصل على شيء مهم. فقال "هاردكسل":

– ومع ذلك فالتملق ينجح في العادة، وأكثر الأشخاص عندًا هم أكثرهم حساسية تجاه

المديح. وقال "كولن":

- أخيراً كانت تصدر صوتًا كمواء القطة أمام وعاء الكريمة، وللأسف لم يخرج من فمها صوت مهم. وقال "هاردكسل":

- لا شيء على الإطلاق. واستدار "كولن" بحماس تجاهه وقال:

- فيم تفكر؟ فقال "هاردكسل":

- في تفصيل مخيب للآمال وهو دون شك بلا أهمية، فالسيدة "بيبمارش" لكي تذهب لتشتري حاجاتها استدارت إلى اليسار وليس إلى اليمين، لكن وفقًا للآنسة "مارتندال" قد تم الاتصال بها هاتفيًا في الساعة الواحدة وخمسين دقيقة. ونظر إليه "كولن" وهو مندهش وقال:

- بينما هي أنكرت ذلك، فهل تعتقد أنها يمكن أن تكون السيدة "بيبمارش"؟ فقد كانت مع ذلك صريحة جداً. وقال "هاردكسل" بصوت محايد:

- نعم صريحة جداً. وقال "كولن":

- إذا كانت هي فلماذا؟ وقال "هاردكسل":

- أوه! لماذا هذا الأمر، ولماذا ذلك الأمر، ولماذا كل هذه الكوميديا؟ هل السيدة "بيبمارش" هي التي اتصلت هاتفيًا من أجل إحضار هذه الفتاة الشابة؟ إذن لماذا؟ وإذا كان شخصاً آخر، فلماذا إذن يسيء إلى السيدة "بيبمارش"؟ وماذا نعرف حتى الآن؟ لاشيء، وعلى الأقل إذا كانت الآنسة "مارتندال" تعرف السيدة "بيبمارش"، لكانت قد عرفت صوتها في التليفون... حسن، إذا كان المنزل رقم ⌧⌧ مخيبًا للآمال، فلنحاول هذه المرة عند رقم ⌧⌧.

الفصل الثامن

بالإضافة إلى كونه المنزل رقم ⌧⌧ في شارع "ويلبراهام كريسنت" فإنه يحمل اسم "ديانا لودج" وله مظهر عدواني مع باب كثير السياج وأوتاد مبقعة مجهزة تجهيزاً رديئًا تدافع عنه ضد المزعجين. وقال "كولن":

– هذا المنزل يستحق أن يسمى منزل الأوتاد، وإني أتساءل عن السبب الذي من أجله سمي بـ"ديانا لودج" . قال ذلك وهو يدير بصره فيما حوله، لا توجد زهور على الأرض في هذه الحديقة التي أصبحت جرداء تسود فيها الأجمة الكثيفة المتشابكة، وكذلك رائحة نشادر كثيفة بسبب فضلات القطط، ومن هذا المنزل المهدم تتدلى برخاوة مزاريب بالية. الباب وحده أعيد طلاؤه بلون أزرق ساطع وهو يعلن عن بعض الصيانة، ولكن على النقيض من ذلك يؤدي إلى اتهام المساحة الباقية بالإهمال، ولا يوجد أي جرس كهربائي، ولكن يوجد نوع من مقابض اليد التي يجب سحبها، وهذا ما فعله المفتش "هاردكسل" مما أثار في الداخل أجراس تنبيه ضعيفة وبعيدة. فقال "كولن" :

– يبدو أنه قصر كبير. وانتظرا في هذا المكان بعض اللحظات، ثم سمعا أصواتًا غريبة في المنزل، نوعًا من الصلوات نصفها حديث ونصفها أغانٍ. وقال "هاردكسل" :

– الشيطان، أليس كذلك. . . ؟ ولكن الشاعر الغنائي الجوال الفصيح اقترب من الباب، وأصبحت الكلمات مسموعة:

"لا يا شو – شو، هنا يا صغيرتي، مي – مي، شا – شا، ميمي. كليو – "كليوباترا" ، هيا مينو – مينو – مينو" . أصوات أبواب تقفل، وأخيرًا انفتح باب الدخول، وأمامهم وقفت سيدة ترتدي فستانًا من القطيفة الخضراء الحائلة (الباهتة) ذات أعداد معقدة جداً من الخصلات الرمادية الصفراء، وحول رقبتها ثعبان برتقالي من الفرو. فقال "هاردكسل" وهو متردد:

– السيدة "همنج" ؟ فقالت بكل رقّة:

– إنها أنا، وحينئذ رأى المفتش الثعبان وهو يتحول إلى قطة، وهي ليست الوحيدة، لكن في المدخل تتسكع ثلاث قطط أخرى وهي تموء، وأخذت مكانًا بجوار سيدتها، وهي تلتف برقة حول القسم السفلي من الفستان. وهي ترمش أمام الزوار، ومعها رائحة قوية للقطط تصعد إلى أنف الرجلين.

– إني أقدم نفسي: المفتش "هاردكسل" . وقالت السيدة "همنج" :

– أوه! لا – بما أني شاردة الذهن – ليس في هذه الغرفة! وعندما فتحت الباب على اليسار من الغرفة انبعثت رائحة عفونة لاذعة جداً، وهنا على الكراسي والمناضد توجد

كميات من الأمشاط والفرش المليئة بشعر القطط، وعلى ست مخدات قديمة قذرة توجد ست قطط أخرى، وأعلنت السيدة "همنج" :

– إني أعيش من أجل صغاري الأعزاء فهم يفهمونني جيداً. وتقدم المفتش "هاردكسل" بكل شجاعة. للأسف بالنسبة إليه كان شديد الحساسية تجاه القطط. وبالتأكيد كل القطط احتفلت به، فواحدة قفزت على ركبتيه، وأخرى حكت بحب سرواله، ولكن المفتش تمالك نفسه وزم شفتيه وقال:

– هل أستطيع أن أطرح بعض الأسئلة يا سيدتي "همنج" بخصوص... وقاطعته السيدة "همنج" بقولها:

– لا تتضايق، فأنا أستطيع أن أظهر لك شيئًا: غذاءها، وسلالها، فخمس من بينها تنام في غرفتي، وسبع منها تنام أسفل هذا المكان، أما بالنسبة إلى السمك الذي تأكله القطط فهو دائمًا من أجود الأنواع ويُطهى بيدي. فقال "هاردكسل" وهو يرفع صوته:

– إني لا أقصد القطط، فلقد جئت بخصوص حادث حزين بالمنزل المجاور، فهل أنت على علم به؟ فقالت:

– المنزل المجاور؟ هل تريد أن تتحدث عن كلب الأستاذ "جوشوا" ؟ فقال "هاردكسل" :

– لا، عن المنزل رقم 19 حيث وجدنا أمس رجلا مقتولا. وقالت السيدة "همنج" بكل أدب لكن دون أي منفعة وعيناها دائمًا على قططها:

– حقيقة؟ فقال:

– هل أستطيع أن أسألك عمّا إذا كنتِ بمنزلكِ أمس فيما بين الساعة الواحدة والثالثة والنصف بعد الظهر؟ فقالت:

– أوه! نعم، فإنني أشتري حاجاتي مبكرة في الصباح حتى أدخل في الوقت المناسب لإطعام صغاري القطط، وبعد ذلك أصفّف شعرها بالفرشاة ثم أجعلها تقضي حاجتها. وقال:

– ولم تلاحظي أي شيء بالمنزل المجاور؟ سيارات البوليس، أو سيارات الإسعاف، ولاشيء من ذلك؟ وقالت:

– إني آسفة، لا أعتقد أني نظرت عبر هذه النافذة، فقد كنت في الجزء الخلفي من الحديقة، أبحث عن المسكينة "أرابيللا" التي كانت مفقودة، فهي قطة شابة، وكانت قد تسلقت على شجرة وكنت واثقة بأنها لا تستطيع النزول، وحاولت أن أجذبها بواسطة طبق من السمك، ولكنها كانت خائفة، هذه المسكينة الصغيرة، وأخيراً عندما تعبت دخلت منزلي، هل تصدقان؟ في اللحظة التي عبرت فيها الباب نزلت وتبعتني. وكانت تحدق إلى الرجلين من وقت إلى آخر. تُرى فيم يفكران؟ فقال "كولن" الذي لم يستطع أن يمسك لسانه لفترة طويلة:

– بعد كل شيء هذا يحتمل. فقالت السيدة "همنج" وقد فوجئت:

– آسفة ماذا تقول؟ واستمر "كولن" في كلامه:

– إني أحب القطط كثيراً وقد اعتدت سلوكها، وما تقولينه ذو دلالة قوية لي وينطبق على طبيعة القطط، انظري كيف تتجمع هذه القطط حول صديقي الذي لا يستطيع صراحة أن يتحملها بدلا من أن تهتم بي، على الرغم من كل مقدماتي. هل فهمت السيدة "همنج" أن "كولن" لا يسلك مثل رجل بوليس عادي؟ ولا يدرك أنها تدرك ذلك؟ فتمتمت بكل بساطة:

– أعزائي الصغار، هم يعرفون دائماً أليس كذلك؟ ووضعت قطة فارسية فاتنة رجليها على ركبتي المفتش، وبنشوة زرعت مخالبها في الجلد ودعكته مثل مغرز الدبابيس، وكان ذلك شيئاً لا يطاق بالنسبة إلى المفتش الذي وقف وقال متسائلا:

– هل تستطيعين يا سيدتي، أن تظهري لي الجزء الخلفي من الحديقة؟ وصدرت ابتسامة هازلة، فقالت السيدة "همنج" وهي تقف بدورها:

– أوه! لكن بالتأكيد، بالتأكيد إني تحت تصرفك. وسحبت القطة البرتقالية من رقبتها ووضعتها تلقائيًا بالقرب من القطة الفارسية الرمادية ثم سبقتهما إلى الخارج، وقالت للأستاذ "كولن":

– اقفل الباب خلفك (جيداً) يا أستاذ... أوف، فالهواء يصفر اليوم، وأخشى على أعزائي الصغار من البرد، وكذلك من هذين الصبيين القذرين... لا توجد وسيلة لترك أعزائي الصغار للتنزّه على انفراد في الحديقة. وقال "هاردكسل" مستفسراً:

- أي صبيين قذرين؟ فقالت:

- غلاما الأستاذ "رامساي" اللذان يقطنان خلف المنزل، ويُحدثان أعمالا فاسدة حقيقة في المنطقة، فهما يتسلحان بمقالعهما، ويختفيان لكي يهاجما القطط، وفي الصيف يلقيان عليها التفاح، ومن هذا الجانب كانت الحديقة أكثر قذارة من الجزء الأمامي إذا استطعنا القول، فبه حشائش رديئة، وينتصب نبات العليق الأشعث الشعر مع نبات الأكوبات (نبات من فصيلة القرنيات) فقال "كولن":

- إننا نضيع وقتنا في مواجهة الأسوار التي لا يمكن اختراقها من الشجيرات، والتي يستحيل أن نرى عبرها أي شيء من حديقة السيدة "بيبمارش"، يُوصف "ديانا لودج" بأنه معزول تمامًا عن جيرانه. فتساءلت السيدة "همنج":

- تريد أن تقول المنزل رقم ⌧⌧⌧؟ وتوقفت مترددة في وسط الحديقة، وأضافت:

- ولكني اعتقدت أنه مسكون بواسطة سيدة عمياء وحيدة؟ وقال:

- الرجل المقتول كان غريبًا عن المنزل. وقالت السيدة "همنج" وهي شاردة الذهن دائمًا:

- إنه لم يجئ إلى هنا سوى لكي يُقتل، يا إلهي! إنه شيء لافت للنظر. وما يقوله "كولن" لنفسه يصف تمامًا الموقف.

الفصل التاسع

وعندما عادا إلى السيارة سارا بطول شارع "ويلبراهام كريسنت" ودارا على يمينهما مرتين متتاليتين لكي يصلا إلى القسم الثاني من "كريسنت" فقال "هاردكسل" ملاحظًا:

- هذا شيء بسيط مثل نهارك سعيد. فقال "كولن":

- عندما نعرف. فقال "هاردكسل":

- المنزل رقم ⌧⌧⌧ يتوسط حديقة السيدة "همنج"، لكن عند أحد أطرافه يلامس حديقة المنزل رقم ⌧⌧⌧، وهذا ما يسمح لنا بان نذهب لنقول كلمة "نهارك سعيد" للأستاذ "بلاند"، وفي الواقع ليس لديهم خدم أجانب. وقال "كولن" وهو نائح:

– وهكذا تطير نظريتي الجميلة. وعندما وصلا قال "كولن" :

– ها هي حديقة جميلة، وهي في الواقع حديقة نموذجية للضاحية، وتمتلئ بأجمة الغرنوقي وبجانبها جنس زهر الـ"لوبليه"، وأزهار الـ"بجونيا" الجميلة، وهنا وهناك الضفادع نائمة ومتيقظة وعيش الغراب (الفطر)، ، ومواد أخرى مزينة. وبينما كان "هاردكسل" يرن الجرس قال له "كولن" :

– هل تعتقد أنه هنا في هذه الساعة؟ فقال "هاردكسل" شارحًا:

– لقد اتصلت به تليفونيًا لأحصل على الميعاد. وفي الواقع تقدم الأستاذ "جوزيابلاند" تجاههما، وهو متوسط الطول وأصلع مع عينين زرقاوين صغيرتين، واستقبلهما بكل حرارة. وقال:

– أهلا بالمفتش "هاردكسل"، ادخلا من فضلكما. وقادهما إلى حجرة الاستقبال حيث كل شيء يعكس مظاهر الغنى، فالمكتب فخم جدًا، والسكرتير يلبس ملابس مرصعة، وتحف ثمينة مختلفة، وقال الأستاذ "بلاند" ببشاشة ولطف:

– اجلسا، هل تدخنان السجائر؟ إلا إذا كان ذلك ممنوعًا في أثناء العمل. وقال "هاردكسل" :

– لا، شكرًا. وقال "بلاند" :

– إذن ماذا حدث؟ قضية المنزل رقم ¤¤ على ما أعتقد، فركن من حديقته يلامس حديقتنا أنا وزوجتي، لكن ما عدا شبابيك الدور الأول فإننا لا نرى شيئًا مهمًا، قصة غريبة إذن؟ على الأقل وفقًا لما تقصه علينا الجرائد. فقال "هاردكسل" :

– انظر هذه (وأخرج مرة أخرى صورة الضحية) يا سيد "بلاند"، أود أن أعرف ما إذا كنت قد رأيت هذا الرجل يومًا ما. فاجاب "بلاند" :

– مطلقًا، ومع ذلك فإني عالم بالفراسة. فقال "هاردكسل" :

– ألم يتقدم إليك في المنزل بحجة معينة لوضع ضمانات أو ماكينة غسيل أو شيء ما؟ فقال "بلاند" :

– لا. وقال "هاردكسل" :

– ربما تكون السيدة "بلاند" قد عرفت عن ذلك المزيد، فبعد كل شيء يُحتمل أن

تكون قد استقبلته بعدما رن جرس الباب. وقال "**بلاند**":

- هذا محتمل جداً، ولكني أتساءل عمّا إذا... أنت تعرف أن "**فاليري**" زوجتي ليست شديدة التماسك، ولا أريد أن أثير انفعالاتها، وأخيراً هذه هي صورة الجثة، أليس كذلك؟ وقال "**هاردكسل**":

- بالتأكيد، فهي ليست مؤثرة مطلقا. وقال "**بلاند**":

- حقًّا وبدقة بالغة، فإننا نعتقد أن الشخص نائم.

- هل تتحدث عني يا "**جوزيا**"؟ وانفتح الباب مدفوعًا بواسطة امرأة في منتصف العمر كانت قد استمعت بشراهة كل محادثتهما من الغرفة المجاورة، فقال "**بلاند**":

- آه! هأنت يا عزيزتي.. كنت أعتقد أنك ما زلت بالسرير. فقالت السيدة "**بلاند**" بصوت منخفض:

- أي جريمة فظيعة، وحتى التفكير فيها يجعلني أرتعش. وتركت نفسها تسقط على الأريكة وهي تلهث، فقال "**بلاند**":

- تمددي يا عزيزتي. فأطاعته، وهي امرأة شقراء، ولونها شاحب، وتبدو مريضة راضية بحالتها، ووجد لها "**هاردكسل**" شبهًا شارداً بشخص آخر، لكن منْ هذا الشخص؟ يستحيل على الرغم من محاولاته أن يتذكره، واستطردت السيدة "**بلاند**" بصوت نائح:

- لا أستطيع أن أتحمل جيداً أيها المفتش؛ ولذلك يحاول زوجي أن يبعد عني كل انفعال وكل مضايقة، فإني مريضة بفرط الحساسية، فأنت تتحدث عن صورة لميت على ما أعتقد، أوه! يا إلهي، إنه شيء شنيع! وإني أتساءل عمًّا إذا كانت لديّ الشجاعة لكي أنظر إليه. وفكر "**هاردكسل**": "والقول بأنها ماتت من الرغبة". وأضاف بلؤم:

- يمكن من الأفضل أن تنظري إلى الرسم يا سيدتي "**بلاند**"، إن ذلك فقط لنعرف ما إذا كان قد رن جرس بابك يومًا ما على سبيل المصادفة في حالة ما إذا كنت تستطيعين مساعدتنا. وقال للسيدة "**بلاند**" بابتسامة صغيرة مشجعة:

- يجب أن أقوم بواجبي، أليس كذلك؟ ومدت يدها فقال لها زوجها:

- هل تعتقدين حقيقة أن تكون العقوبة أن تصبحي مريضة يا "**فال**"؟ فأجابته:

- لا تكن غبيًا يا "**جوزيا**"، يجب أن أفعل ذلك. وتأملت الصورة باهتمام كبير،

وحتى ببعض الاستياء من وجهة نظر المفتش، وقالت:

– إنه يبدو... حقيقة إننا لا نعتقد مطلقًا أنه مات، أو أنه تم اغتياله، هل... هل خُنق؟ وقال المفتش:

– لقد طُعن. وأغلقت السيدة "بلاند" عينيها وهي مرتعدة، وقال لها المفتش:

– هل تعتقدين أنك رأيته من قبل يا سيدتي؟ وقالت السيدة "بلاند" مع نفور واضح:

– لا، لا، إني لا أعتقد، هل كان... أخيراً هل كان يوزع أشياء من الباب للباب؟ وقال "هاردكسل" بحذر:

– يُحتمل أن يكون سمسار تأمينات. وقالت:

– قريب للسيدة "بيبمارش"؟ فقال:

– لا، مطلقا فهو مجهول تمامًا. وقالت السيدة "بلاند":

– غريب جداً. وقال:

– هل تعرفين السيدة "بيبمارش"؟ وقالت:

– إنك تحدثت كثيراً، فأنا أعرفها كجارة فقط، فهي تطلب غالبًا نصيحة من زوجي لحديقتها. فقال:

– زوجك أو أنت هل كنت بالمصادفة في منزلها أمس؟ وبما أن منزلك يلامس المنزل رقم ١٩ فيحتمل أن تكوني قد رأيت أو سمعت شيئًا ما مهمًّا؟ وتساءل الأستاذ "بلاند":

– في الثانية عشرة ظهراً؟ ساعة الجريمة؟ وقال "هاردكسل":

– بالأحرى ما بين الساعة الواحدة بعد الظهر والساعة الثالثة بعد الظهر، فهذه هي الساعة التي تهمنا. وأومأ "بلاند" برأسه بالسلب وأضاف:

– في هذه الساعة كنا في المنزل ومنه لا نرى أي شيء، وكنا – أنا و"فاليري" – نتناول الغداء في حجرة الطعام التي تطل على الشارع، فكيف نعرف ما يحدث في الحديقة؟ فقال "هاردكسل":

– في أية ساعة تتناولان طعام الغداء؟ فقال "بلاند":

– في حوالي الواحدة بعد الظهر، وأحيانًا الواحدة والنصف بعد الظهر. وقال "هاردكسل":

– وبعد ذلك لم تخرجا؟ فقال "بلاند" :

– زوجتي تستريح دائمًا بعد الأكل وأنا كذلك، وعندما يكون عندي وقت فإني أحصل كذلك على جرعة من النوم، ولقد تركت المنزل – أوه – في حوالي الساعة الثالثة إلا الربع بعد الظهر على ما أعتقد، ولكن للأسف لم أذهب لأتنزه في الحديقة. وتنهد "هاردكسل" وقال:

– لا يهم، فهذه الأسئلة نحن مجبرون على طرحها على كل الناس. فقال "بلاند" :

– بالتأكيد، بالتأكيد، إني آسف لأني لا أستطيع مساعدتك. وقال "هاردكسل" :

– منزلكم جميل جدًا، ولم تبخلوا عليه بالمصاريف، نعم أستطيع أن أقول ذلك. وضحك "بلاند" من كل قلبه. وقال:

– ذلك لأننا نحب الأشياء الجميلة، فزوجتي لديها ذوق، والعام الماضي سقطت علينا نعمة من السماء، أي ثروة من عم زوجتي الذي لم تره منذ خمسة وعشرين عامًا– على الأقل – وهذه مفاجأة سارة، وبالنسبة إلينا لقد غير ذلك كثيرًا من الأشياء، إني أؤكد ذلك، ونحن نسير على الذهب، ونفكر حتى في منحكم رحلة بحرية في خلال هذه السنة إلى "اليونان" وغيره، وأعتقد أني مثقف، وأنا ثقفت نفسي بنفسي، ولم يكن لدي وقت للاهتمام بكل ذلك ولكن ذلك يهمني، ولم أذهب سوى من وقت إلى آخر في عطلة نهاية الأسبوع إلى خليج "باري" ، لكن السفر هو حلمي، وأنا أُفَضِّل فكرة بيع المنزل لأذهب وأعيش في "البرتغال" أو "إسبانيا" أو حتى جزر "الأنتيل" ، مثل كثير من الناس، فهناك لا توجد ضرائب على الدخل، ولا مضايقات، ولكن زوجتي غير متفقة معي. وشرحت لهم السيدة "بلاند" :

– ليس لأني لا أحب السفر، لكن أحب ألا أعيش في بلد آخر غير "إنجلترا" ، ولديَّ هنا كل أصدقائي وأختي كذلك، ومن ثم نحن معروفون وفي بلد آخر ستكون العزلة، وأخيرًا لديَّ طبيبي الخاص هنا، وهو يعالجني بأحسن ما يمكن، والطبيب الأجنبي لن يحوز ثقتي. وقال زوجها:

– سنرى. قال هذا وهو يصطحب "كولن" و "هاردكسل" . جدد لهما الأسف لأنه لم يمنحهما أي مساعدة.

الفصل العاشر

في منزل رقم 62 في شارع "ويلبراهام كريسنت" كانت السيدة "رامساي" تكرر دون توقف:

– يومان فقط، يومان فقط. وبيدها كانت تزيح خصلة من شعرها على جبهتها الرطبة. وحدثت ضجة كبرى في المنزل، ولم تشعر السيدة "رامساي" بأن عليها أن تذهب لتقيس حجم الكارثة، لكن فقط إذا لم يدوّ هذا الصوت:

– أوه! لا يهم، ليس أكثر من يومين! وعبرت البهو وفتحت الباب بشراسة وسألت بصوت أقل خشونة مما كان منذ ثلاثة أسابيع:

– وبعد ذلك، ماذا حدث مرة أخرى؟ وقال ابنها "بيل" متأسفًا:

– آسف يا أمي، كنا نلعب جولة من الكرات مع علب حفظ المأكولات، ثم لا أعرف لماذا دارت في دولاب أواني المائدة. وقال "تيد" الابن الأصغر:

– لم نقم بذلك عمداً. فقالت أمه:

– هيا أسرعا، رتباها لي. اكنساها وألقيا بكل ما هو مكسور في سلة المهملات. فقال أحد الابنين:

– أوه! ليس الآن يا أمي. فقالت الأم:

– بل في الحال. فقال "بيل":

– على "تيد" أن يعملها. وقال "تيد":

– هكذا الحال، كل يوم أنا. وقال "بيل":

– لن أعمله إذا لم تفعله. وقال "تيد":

– أراهنك أنك ستعملها. وقال "بيل":

– وأنا لا. وتبادل الغلامان اللكمات فصرخت السيدة "رامساي":

– آه! انصرفا. ودفعتهما خارج المطبخ، وبعد أن أغلقت الباب، قامت بواجبها في جمع العلب وكنس النفايات، وفكرت في نفسها: "لا يبقى سوى يومين! وسيذهبان إلى المدرسة" آه حقيقة أي تنبؤ إعجازي محبوب بالنسبة إلى أمهات العائلات! وفي اللحظة

نفسها ارتفع في الخارج صوت مخيف تبعه هدوء عميق جداً إلى الدرجة التي جعلت السيدة "رامساي" تخاف، فظلت في مكانها مسمَّرة، وجاروف القمامة في يدها عندما انفتح الباب أمام "بيل"، ووجهه يظهر عليه النشوة والاحترام اللذان لم يكونا طبيعيين بالنسبة إليه، وقال:

– أمي، يوجد مفتش مع رجل آخر هنا. فقالت "رامساي" وقد تنفست الصعداء:

– آه! وماذا يريدان يا عزيزي؟ فقال "بيل":

– أن يرياكِ، وهذا يجب أن يكون من أجل الجريمة التي حدثت أمس عند السيدة "بيمارش". ودخلت السيدة "رامساي" في حجرة الاستقبال وابنها "بيل" يتعقبها حيث كان هناك رجلان ينتظرانها مع "تيد" لكي يرافقها، وعيناهما تحملقان من الإعجاب، وقالا:

– السيدة "رامساي"؟ قالت السيدة "رامساي" بعصبية شديدة:

– نهاركما سعيد أيها الأستاذان، إذا كنتما قد جئتما من أجل ما حدث في المنزل رقم 19 أمس، فليس لديّ ما أقصه عليكما يا سيدي المفتش، فإني لا أعلم أي شيء، وأجهل حتى من هم جيراني. فقال "هاردكسل":

– هل كنت في منزلك فيما بين الثانية عشرة والنصف ظهراً والثالثة بعد الظهر؟ فقالت السيدة "رامساي":

– أوه! نعم، إنها الساعة التي أهتم فيها بالغداء، ومع ذلك فإني خرجت في حوالي الساعة الثالثة واصطحبت الغلامين إلى السينما. وأخرج المفتش الصورة المرسومة من جيبه ومدها في اتجاه السيدة "رامساي" وقال:

– هذا الوجه ألا يقول لك شيئاً؟ وفحصت السيدة "رامساي" الصورة باهتمام كبير وقالت:

– لا، لا، لا أعتقد، لكن هل نتذكر كل هؤلاء الذين نراهم؟ وقال "هاردكسل":

– ألم يجئ ليقترح عليك عقود تأمينات على سبيل المثال أو شيء آخر من هذا القبيل؟ فأجابت السيدة "رامساي" بصوت قاطع:

– لا، إني متأكدة. وقال "هاردكسل":

– نعتقد أن اسمه "كاري". واستطردت وهي تتأسف من جديد:

– لا، ليس لديّ مطلقًا الوقت لرؤية أو لملاحظة شيء ما في أثناء الإجازات. وقال المفتش:

– دون شك أنت مضطربة جدًا، ولديك هنا غلامان جميلان مملوءان بالحيوية، وأحيانًا أكثر من الحد؟ بالتأكيد أنت تعانين تغذيتهم وتسليتهم! متى سيعودان إلى المدرسة؟ فقالت:

– بعد غد. وقال "كولن" مقترحًا عليها:

– أنت تحتاجين واحدة من هؤلاء الفتيات الشابات الأجنبيات – مميزة كما تقول– وهؤلاء الفتيات يساعدن قليلا بالمنزل، ويتعلمن اللغة الإنجليزية مقابل ذلك. وقالت السيدة "رامساي" وهي مهتمة:

– يجب عليّ أن أفكر على الرغم من أني أحترس من الأجنبيات، وهذا يجعل زوجي يضحك، وبالتأكيد لديه خبرة أكثر مني؛ لأنه يسافر كثيرًا. فقال "هاردكسل":

– هل هو في الخارج في هذا الوقت؟ فقالت:

– نعم، في "السويد" منذ بداية شهر آب (أغسطس)، فهو مهندس بالأشغال العامة. وقال "هاردكسل":

– متى تعتقدين أنه سيعود يا سيدتي "رامساي"؟ فقالت بحزن:

– لا أعرف ذلك مطلقًا، مما لا يرتب أي شيء. وارتجف صوتها، وقال "هاردكسل" وهو ينتصب:

– لا داعي إلى القلق لفترة أطول، فأطفالك سيظهرون لنا الحديقة. وعندما صاروا بالخارج سألهما المفتش:

– من هنا نرى المنزل رقم 19 بكل وضوح، ومن نوافذ الدور الأول بأكثر وضوح دون شك؟ وقال "بيل":

– بالضبط، وإذا كنا فقط هنا أمس، لكنا قد تعلمنا أشياء كثيرة. ولاحظ "كولن" محذرًا من وجود خرطوم للري يختفي بالقرب من شجرة كمثرى في ركن من الحديقة، وقال:

ـ لا أعتقد أن أشجار الكمثرى تحتاج إلى الري. وقال "**بيل**" وهو متضايق قليلا:

ـ أوه! هذا... واستطرد "**كولن**" وهو يضحك:

ـ لكن من ناحية أخرى عندما نتسلق شجرة ما نستطيع أن نروي جيداً قطة من نافورة ماء صغيرة، أليس كذلك؟ وقال "**بيل**":

ـ هذا لن يسيء إليهم. وأضاف بعين خبيثة:

ـ هذا ليس مقلاعًا. وقال "**كولن**":

ـ ومن وقت إلى آخر تعبران إلى الحديقة المجاورة، فكيف تتصرفان؟ فقال "**تيد**" شارحًا:

ـ أوه! نحن نتسل عبر السياج ثم ننزل قليلا في حديقة السيدة "**بيبمارش**" ثم نعبر عبر سياج السيدة "همنج" عن طريق ثقب بالشبكة. وسألهما "**هاردكسل**" بصوت منفصل:

ـ ومنذ حادث الاغتيال كنتما تبحثان عن العلامات؟ ونظر الغلامان أحدهما إلى الآخر، واستطرد "**هاردكسل**":

ـ يبدو أنكما قد اكتشفتما شيئًا ما قد اختفى عنا. وقال "**بيل**" بإصرار:

ـ اذهب يا "**تيد**" ابحث عنها. وأطاع "**تيد**" الأمر وذهب وهو يجري ليرجع بعد قليل ليعطيه منديلا قذراً معقوداً بأطرافه الأربعة، وفك "**هاردكسل**" العُقَد وبسط المحتوى، فكان يوجد مقبض فنجان، وقطعة من الخزف الصيني، ومسجة مكسورة (أداة لتسوية الطين)، وكذلك شوكة يعلوها الصدأ، ورزة، وقطعة من الزجاج تشبه قوس قزح، وقال المفتش بصوت جاد:

ـ أشياء مهمة جداً. ثم استدر الشفقة بالملامح الفاتنة للغلامين، فرفع قطعة الزجاج وأضاف:

ـ سآخذ هذه فربما تكون طريقًا أو مسلكًا يفيدنا في التحقيق. ورفع "**كولن**" القطعة وفحصها، وقال "**تيد**":

ـ إنها ليست إنجليزية. وكرر "**كولن**" الكلام نفسه فقال:

ـ لا، إنها ليست إنجليزية. ثم رفع عينيه في اتجاه "**هاردكسل**" وقال:

– نستطيع أن نأخذ هذا كذلك؟ وقال "هاردكسل" بصوت متآمر:

– لا تقولا أي كلمة لأي كائن حي. ووعده الغلامان بعدم الكلام، وكانا يشعران بالافتتان.

الفصل الحادي عشر

وقال "كولن" وهو يتخيل:

– "رامساي" يسافر إلى الخارج، وهو يسافر دون تحذير على ما يبدو من يوم إلى آخر، وزوجته تعلن لنا أنه مهندس للأعمال العامة، ويبدو أنها لا تعرف أشياء كثيرة عنه. وقال "هاردكسل":

– إن نوع الفريسة التي تصطادها لا يرتبط بالتأكيد بامرأة وولدين وإنها امرأة شجاعة. وقال "كولن":

– لا نستطيع أن نقسم بشيء، فهل تتخيل إلى أين يذهب المخبرون من أجل التعتيم؟ وقال "هاردكسل":

– العالم الذي نعيش فيه غريب جداً يا "كولن"، ومن الأحسن أن نذهب إلى عائلة "ماك نوتن". وتوقف المفتش أمام شبكة المنزل رقم 63 وقال:

– منزل آخر يلامس المنزل رقم 19 كما هو الحال بالنسبة إلى منزل عائلة "بلاند". فقال "كولن":

– أي تحريات تريدها من هؤلاء الأشخاص؟ فقال "هاردكسل":

– قليل من المعلومات، فهما لا يسكنان هنا سوى منذ عام، وهما: زوج عجوز، وأستاذ على المعاش يهوى زرع الحدائق، وفتحت لهما امرأة شابة الباب وكانت ملامحها ضاحكة، وترتدي صداراً مزيناً بالزهور. وقالت:

– ماذا تريدان؟ وقال "هاردكسل":

– الأيدي العاملة الأجنبية. ومد لها البطاقة الخاصة به، وقالت السيدة "ماك نوتن" وهي تظهر في حجرة الاستقبال بعد بضع دقائق:

ـ يا إلهي! يا إلهي يا سيدي المفتش! ولكننا نجهل كل شيء عن هذه القصة، فلماذا تأتي لترانا نحن؟ إنه بالنسبة إلى موضوع الاغتيال، أليس كذلك؟ وبعد أن أكدت له ذلك مد لها "هاردكسل" مرة أخرى الصورة الكاشفة للقتيل وقال:

ـ هل رأيت هذا الرجل من قبل يا سيدتي "ماك نوتن"؟ وحملقت السيدة "ماك نوتن" جيداً إلى الصورة وقالت:

ـ أعتقد أنه نعم، فإني متأكدة، لكن أين إذن؟ إلا إذا كان هو الشخص الذي جاء ليقترح عليّ أن أشتري موسوعة جديدة. فقال "هاردكسل":

ـ هل يشبه الصورة؟ فقالت السيدة "ماك نوتن":

ـ ليس بالضبط؛ لأنه عند التأمل كان أصغر عمراً، لكن مع ذلك فإني مقتنعة بأني رأيته من قبل. فقال "هاردكسل":

ـ يمكن أمس؟ وتجهم وجه السيدة "ماك نوتن" وقالت:

ـ لا، ليس أمس (ثم استعادت الأمل وأضافت) زوجي يمكن أن يتذكره، إنه بالحديقة. وسبقتهما وقالت بصوت لاهث:

ـ هذان الأستاذان هما من رجال البوليس يا "آنجُس"، وهما يرغبان أن يظهرا لك صورة الضحية. وبعد نظرة سريعة قال:

ـ لم أر هذا الشخص إطلاقا من قبل، ومع ذلك كنت أعمل بالحديقة عندما حدث الحادث. قال "هاردكسل":

ـ حقيقة؟ فقال الأستاذ "ماك نوتن":

ـ على أية حال عندما صرخت الفتاة. فقال "هاردكسل":

ـ وماذا فعلت؟ وقال الأستاذ "ماك نوتن" وهو يشعر بقليل من الخزي:

ـ أوه! لا شيء، ومع ذلك اعتقدت أن هذين الغلامين اللذين في المنزل المجاور يحدثان ضجة ويطلقان الصرخات ويزعقان. فقال "هاردكسل":

ـ لكن هذا الصوت لا يأتي من اتجاههما؟ وقال "ماك نوتن":

ـ أوه! ولكن هذين الغلامين لا يظلان في منزلهما، ولكنهما ينسلان عبر حواجزنا وسياجاتنا ولا يوجد شخص ليعاملهما بقسوة، فأمهما ضعيفة. وقال "هاردكسل":

– والأستاذ "رامساي" وفقًا لما قالوا لنا في حالة سفر دائم. فقال "ماك نوتن":

– دون تحديد، مهندس في نزهة دائمة، وليس لأن هذين الغلامين من الأشرار حقيقة. بل يلزمهما فقط بعض النظام. فقال "هاردكسل":

– ما عدا هذه الأصوات الم تلاحظ شيئًا؟ الم تر أي شخص في حديقة المنزل رقم 19 أو أي شخص من النافذة؟ فقال "ماك نوتن" وهو يتأسف:

– لا شيء مطلقًا. وفي السيارة سأل "كولن" "هاردكسل":

– هل تعتقد حقيقة أنها تعرفت إلى الصورة؟ فأشار "هاردكسل" بـ "لا" وأضاف:

– إني أشك، وهي تحاول أن تقنع نفسها، وهذا النوع من الشهود إني أعرفه جيدًا! وعند العودة إلى قسم البوليس ضحك "هاردكسل" لصديقه وقال:

– إذن، أيها الرقيب "لامب"، في وسعك الانصراف الآن. وقال "كولن":

– جيد وشكرًا من أجل هذا الصباح، فهل تستطيع أن تجعلني أدوّن ملاحظاتي على الآلة الكاتبة. وأعطى هذه الملاحظات لـ "هاردكسل" وأضاف:

– غدًا ستجتمع المحكمة، اليس كذلك؟ في أي ساعة؟ أجاب "هاردكسل":

– الحادية عشرة صباحًا. وقال "كولن":

– سأكون قد عدت على ما أعتقد، فيجب عليّ أن أذهب إلى "لندن" لأظهر تقريري، وكذلك لأرى مخبرًا سريًا كان أحد زملاء والدي، فقصة غريبة مثل هذه تعد من اختصاصه. فقال "هاردكسل":

– وما اسمه؟ فأجاب "كولن":

– "هركيل بوارو".

الفصل الثاني عشر

كانت فترة ما بعد الظهر مليئة بالعمل بالنسبة إلى المفتش "هاردكسل" فالأبحاث التي أجراها للتعرف إلى الأستاذ "كاري" لم تؤد إلى شيء، ولكن "هاردكسل" تعلم أن يكون صبورًا، فإننا لا نجد شخصًا بين ليلة وضحاها، لكن في نهاية الأمر فإننا نصل إليه دائمًا،

وحتى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر كان يعمل بلا انقطاع، ثم قرر أن الوقت قد حان لكي يذهب ويقوم بزيارته. كيف إذن تسمي خالة "شيلا ويب"؟ السيدة "لوتن"، 14 شارع "بالمرستون"، ولم يستقل سيارة، وفضّل أن يذهب على قدميه، وفي ركن الشارع جاءت فتاة تجاهه على الرصيف. هذا الوجه... هو يعرفه، وأين رآه هذه الأيام؟ فاستشاط "هاردكسل" غيظًا، وهو الذي كان يتباهى بكونه عالم فراسة (يتذكر هيئة وجوه الناس).

وعندما جاءت السيدة "لوتن" لتفتح له لمح المفتش رسالتين على ممسحة الأرجل، وما إن مالت السيدة "لوتن" لتلتقطهما حتى تحرك "هاردكسل" قبل حركتها وجمعهما بعد أن نظر إليهما نظرة خاطفة، وكانت إحداهما من أجل السيدة "لوتن"، والرسالة الأخرى موجهة إلى السيدة "ر. س. ويب" وقالت له بعد أن وضعهما على منضدة الصالة:

ـ شكرًا جزيلا، ويمكنك الدخول إلى حجرة الاستقبال. فقال "هاردكسل":

ـ التزمت بأن أتحقق كذلك من بعض نقاط هذه القضية التي تتداخل فيها للأسف ابنة أختك، ففي اليوم الآخر لم نهتم سوى بالخطوط العريضة. وتفحص مفكرته أمامها ثم استطرد قائلا:

ـ هل الآنسة "شيلا ويب" لها ألقاب أخرى؟ فقد دونت هنا "شيلا. ر. ويب" ولم أستطع أن أتذكر الاسم الآخر، هل هو "روزالي"؟ فقالت السيدة "لوتن":

ـ "روزماري"، فقد سميناها "روزماري شيلا"، ولكن "روزماري" بدا لأختي خياليًا جدًا فاختارت أن تسمى "شيلا". وقال:

ـ حسنًا. لا شيء في صوت "هاردكسل" كان يشير إلى أنه كان سعيدًا جدًا لرؤية أحد فروضه تتحقق وقال:

ـ الآنسة "ويب" يتيمة على ما أعتقد. فقالت:

ـ نعم، أختي وزوجها ماتا بينما كانت هي طفلة. وقال:

ـ وأي مهنة تمارسها الآنسة "ويب"؟ فاستطردت وهي مترددة وتعض شفتها:

ـ لا أعرف. فقال "هاردكسل":

–كيف؟ وقالت:

– يستحيل أن أتذكر مهنتها، فهي قديمة! وشعر في داخله بأنها لن تظل في هذا المكان، فانتظرها "هاردكسل" واستطردت:

– هل يمكنني أن أسأل عن أي علاقة مع... على أية حال لماذا كل هذه الأسئلة عن عائلتها وعن مهنة والدها؟ فقال:

– بالنسبة إليك يمكن أن تبدو هذه الأسئلة غير مجدية يا سيدتي "لوتن"، لكن أدركي أن الظروف غير عادية تمامًا، وهل تدركين أنه يبدو أن هناك أشخاصًا كانوا يبحثون بإرادتهم عن تجريم ابنة أختك؟ فقد رتب شخص ما بأن يحضرها في منزل حيث تم اغتيال شخص منذ فترة وجيزة. فقالت:

– هل تعتقد... هل تعتقد أنهم كانوا يريدون... أن يعرف الناس أن "شيلا" هي التي قتلته؟ أوه! لا، ليس هكذا... فهذا غير حقيقي. وقال:

– كم مرة نستطيع بالبحث في الماضي اكتشاف دوافع الجريمة، فبما أنها فقدت والديها وهي صغيرة جدًا، فالآنسة "ويب" بطريقة طبيعية لا تستطيع أن تعلمني أي شيء عنهما، ولذلك تجدينني هنا، فهل مات كلا الاثنين موتًا طبيعيًا؟ فقالت:

– آه... نعم... إنني لا أعرف أي شيء. فقال "هاردكسل":

– إنني مقتنع بأنك تعرفين أكثر كثيرًا مما اعترفت به يا سيدة "لوتن".

– لا أرى إطلاقا ما... أخيرًا... إنني لا أستطيع أي شيء. وأضافت:

– إنه شيء شديد التعقيد. وتلعثمت وشعرت بألم، وفحصها "هاردكسل" بكل انتباه، ثم طرح عليها بهدوء السؤال الآتي:

– "شيلا" يمكن أن تكون طفلة غير شرعية؟ واسترخت في الحال، وشعرت براحة وخزي في آن واحد، وقالت:

– ولكنها تجهل ذلك، فلم أكشف لها ذلك قط، فهي تعتقد أنها يتيمة؛ ولذلك... أنت تفهم؟ وقال المفتش:

– تمامًا، فإني أعطيك وعدًا أني لن أسأل الآنسة "ويب" في أثناء التحقيق عن هذا الموضوع إلا إذا كنت مجبرًا. وقالت السيدة "لوتن":

ـ ليس عليّ أن أبدي ارتياحًا كبيرًا، إني أؤكد لك ذلك عن تجربة! فأختي كانت دائمًا فرس رهان العائلة، وعندما أصبحت معلمة فقد نجحت بامتياز. وقال:

ـ والآن، أين تعيش؟ فقالت:

ـ ليس لديّ أيّ فكرة، وبالنسبة إلى الطفلة أعتقد أن هذا الانفصال ضروري، وكان من الواجب أن تستمر في عملها. وقال:

ـ يبدو غريبًا أنها لم تبحث إطلاقا في الحصول على أخبار عن طفلتها؟ وقالت:

ـ ليس عندما نعرف "آن"، فلها خاصية خاصة، ثم بيني وبينها لا يوجد مطلقًا أيّ الفة، فإني أصغر منها بكثير باثنتيْ عشرة سنة. وقال "هاردكسل" وهو يقف:

ـ إني أفهم، شكرًا كثيرًا على صراحتك يا سيدتي "لوتن". وأخرج من جيبه الصورة وقال:

ـ امسكي، هل تعرفينه؟ وفحصتها وقالت:

ـ لا، لم أر قط هذا الرجل. وقال:

ـ حسنًا، لا داعي إلى أن أزعجك أكثر من ذلك، ما دامت ابنة أختك لم تعد بعد. فقالت السيدة "لوتن" ملاحظة:

ـ نعم، عندها تأخير، وهذا مدهش، ولحسن الحظ لم تنتظرها "إدنا". وأمام حب استطلاع "هاردكسل" قالت شارحة:

ـ إن "إدنا" هي إحدى زميلاتها في المكتب، وقد جاءت هذا المساء لرؤية "شيلا"، وبعد بضع لحظات قالت لي إنه ليس لديها وقت للانتظار أكثر من ذلك. وفجأة تذكر المفتش أن الفتاة الشابة التي قابلها في الشارع كانت هي التي استقبلته في وكالة "كافنديش" يوم حادث الاغتيال وكانت ترفع حذاءها ذا الكعب المكسور. فقال:

ـ هل هي صديقة ابنة أختك؟ وقالت:

ـ لا، ليس بالضبط، فهما يعملان معًا، لكن لا يرتبطان حقيقة، وفي الحقيقة فإن رغبتها الحميمة في رؤية ابنة أختي هذا المساء قد فاجأتني. وقالت لي إنه يوجد شيء ما لاتفهمه، وإنها تريد معرفة رأي "شيلا". وعندما كان المفتش على وشك الرحيل سألها مرة أخرى:

– والقاب ابنة أختك من اختارها؟ فقالت:

– "شيلا" كان اسم والدتنا، واختارت أختي "روزماري"، فهو مع ذلك اسم رومانسي ولا يشبهها إطلاقا. وعند ملف الشارع كان المفتش يكرر كذلك:

– "روزماري"... هم... "روزماري"... تذكر مبهم أو إذن...

الفصل الثالث عشر

وبعد أن صعدتُ شارع "شارنج كروس" توغلتُ في هذه الشبكة من الطرق الضيقة التي تتلوى بين شارعي "نيو أكسفورد" و "كوفنت جاردن"، المزدحمين بالمتاجر غير المشكوك فيها؛ حيث الأنتيكات (التحف القديمة)، وأحذية الرقص، وأسرّة العرائس اللعب، وعلى الرغم من جاذبية العيون الرمادية والزرقاء لأسرّة العرائس اللعب وصلتُ أخيراً إلى هدفي، ألا وهو مكتبة صغيرة رثة في أحد الشوارع الضيقة القريبة من المتحف البريطاني. في الخارج كان المعرض التقليدي للكتب، مثل: روايات قديمة، وكتب وجيزة مصنفة 3d, bd, Ish فرص من كل نوع تصطف بينها بعض الكتب الخاصة الواضحة الخط في كل صفحاتها وأحيانًا تكون مرتبطة، وانسللتُ عن طريق الباب، وكنت مجبراً على ذلك، لأنه من كل الأجناب كانت الكتب ترتب في طبقات في اتزان لحظي، وكانت في كل يوم تجعل الممر يضيق أكثر فأكثر حتى الشارع.

وفي الداخل كان واضحًا أن الكتب هي سيدة المكان، فقد غزت كل شيء وهي تتكاثر وتتقاطع دون أن تبحث أي يد نشيطة في تنظيمها، وبين قسمين كان من الصعب التوغل بينهما ما دام الممر ضيقًا، ولا توجد منضدة، ولا توجد أرفف غير محملة بأكوام من الكتب، وفي أحد الأركان وعلى مقعد لا ظهر له ولا ذراعين محاط بالكتب كان يجلس شخص عجوز صغير الحجم ووجهه منبسط مثل السمكة تحت قبعة رسام فاشل، ومن مظهره نخمن أنه ترك صراعًا غير متكافئ، وهو ملك معزول عن عالم الكتب هذا، فترك رجله أمام فيضها المتزايد في استحالة إيقافها لأنها لا تطيعه، فهكذا كان الأستاذ "سولومان" صاحب الدكان، وعندما لمحني لانت عيناه اللتان كانتا تبدوان مثل عيني

السمكة الميتة وحياني، فقلت له:

– هل لديك كتب مهمة بالنسبة إليّ؟ وقال:

– يجب عليك أن تصعد يا أستاذ "لامب"، دائمًا قصصك الخاصة بالطحالب. فقلت:

– دائمًا! وقال:

– أنت تعرف الطريق. وأشرت إليه بـ "نعم" ونجحت في الانزلاق تجاه سلم صغير مهتز وحقير في الجانب الخلفي من الدكان، وكان الدور الأول مخصصًا للكتب عن المشرق، والفن، والطب، والكتب الكلاسيكية الفرنسية، وفي هذه الغرفة خلف ستر كان يوجد ركن مجهول من العامة ومخصص للخبراء فقط، وكانت توضع فيه المراجع لتعليم الخاصة. ومررت من جانبها وتسلقت إلى الدور الثاني، وهنا دون نجاح كبير حاولوا تصنيف الكتب وفقًا لموضوعاتها مثل كتب علم الأحياء أو التاريخ الطبيعي، وكتب علم الآثار وبعض كتب الآداب الجادة، وسلكت طريقي عبر الطلاب والضباط العجائز المحالين إلى المعاش، والرعاة، وعبرت ركن أحد الأقسام مقتحمًا حزمًا مشقوقة من الكتب، ووجدت فجأة أن طريقي مسدود بواسطة طالب وطالبة كانت ذراعا أحدهما في ذراعي الآخر ونسيا هذا العالم في عناق متقد. فقلت:

– آسف. وأبعدتهما بيد صارمة، ورفعت الستار الذي يحجب بابًا، وسحبت مفتاحًا من جيبي وفتحت وانصرفت. لكي أجد نفسي بغرابة في نوع من الأروقة ذات حوائط مسوسة، لكن نقية يتدلى منها نقوش قديمة من المراعي الأسكتلندية، وفي مواجهتي باب ذو مطرقة من الجلد الذي يبرق وقرعت باحتشام، فجاءت سيدة مسنة وهي ترتدي تنورة سوداء وزردًا (نسيج مسرد) لونه أخضر ليموني وشاذ جدًا، ودون تمهيد قالت لي:

– آه! إنه أنت، فأمس كان قلقًا من ألا يراك ولم يكن سعيدًا جدًّا (وهزت رأسها وهي تبدو كحاكمة مزمجرة) حاول ألا تعيد الكرة. فقلت:

– أوه! هل أنت على ما يرام يا "نونو"؟ وقالت:

– إني لا أدعى "نونو"، يا للوقاحة! لقد قلت لك ذلك من قبل. وقلت:

– إنها غلطتك، فعليك ألا تعامليني مثل طفل. وقالت:

– توقف عن أن تكون كذلك إذن، ومن الأحسن أن تدخل وتنهي هذا الموضوع. وبعد

أن ضغطت على طابع بريد تناولت هاتفها وقالت:

– الأستاذ "كولن"... نعم في الحال. وأشارت إليَّ بالدخول، فدخلت في غرفة لا نرى فيها مطلقًا حيث دخان السيجار كان كثيفًا، وعندما نجحت أخيرًا – وعيناي تحرقانني – في تمييز بعض الأشياء رأيت الملامح الضخمة لرئيسي، وقد استراح في الجلوس في كرسي واسع منجد المساند، والظهر منهار أمام قِمطْر قديم له محور، وبعد أن سحب نظارته دفع العقيد "بيك" قِمطْره الذي كان موضوعًا عليه مجلد ضخم ونظر إليَّ نظرة إدانة وقال:

– إذن، هاأنت أخيرًا. فقلت:

– نعم يا أستاذ. فقال:

– هل من جديد؟ فقلت:

– لا يا أستاذ. فقال:

– آه! هذا ليس على ما يرام يا "كولن"، هل تسمعني؟ لا هلاليات مطلقا (رقاقة بالزبد بشكل هلال تؤكل عادة مع الفطور)، أي فكرة سخيفة شاذة! وقلت:

– إني أفكر دائمًا. وقال:

– تمام، فكِّر يا عجوز، لكن لن ننتظر بلا نهاية نتيجة تأملاتك. وقلت:

– لم تكن سوى احتمال أني أقبله... وقال:

– هذا ليس شيئًا رديئًا. وقرر بإصرار أن يناقضني فقال:

– نجاحاتي الكبرى كانت بسبب الاحتمالات، ولكن احتمالكم يبدو أعرج، وانتهت تسليتكم؟ وقلت:

– نعم يا أستاذ، إني قمت بتفتيش الهلاليات (أي البيوت التي على شكل نصف قمر) وإني أسمعك. وقال:

– إني أشك في أنك لم تذهب عند الخباز! ومع ذلك فلم لا (فهو في الخلف آخر الشارع)؟ وهل أنهيت أبحاثك؟ قلت:

– تقريبًا. فقال:

– هل يلزمك المزيد من الوقت؟ قلت:

– نعم، لكن في الوقت الحالي أتمسك بأن أظل في مكاني؛ لأنه إما أن يكون هناك

تطابق... أو إذن... يمكن أن يكون هناك شيء ما أسفل المكان. وقال:

– لا تنحرف عن الأحداث من فضلك. وقلت:

– مركز الأبحاث هو "ويلبراهام كريسنت". وقال:

– حيث عدت بخفيْ حنين أو ماذا؟ فقلت:

– لا أعرف. وقال:

– حدد يا غلامي حدد. فقلت:

– التطابق هو أنه تم اغتيال شخص ما في "ويلبراهام كريسنت" وقال:

– من هو؟ فقلت:

– شخص مجهول يحمل بطاقة زيارة باسم مستعار أو عنوان خطأ. وقال:

– آه، شيء واحد. إذن هذا يتطابق؟ إني أفهم، إني أفهم... ومع ذلك! فالهدف من زيارتك دون شك هو السماح بالاستمرار في التطفل في "ويلبراهام كريسنت".. في هذه المدينة الصغيرة ذات الاسم المضحك، فكيف حال هذا الشارع حتى الآن؟ قلت:

– تقع "كرودين" على بعد ستة عشر كيلومترا من "بورتلبُري"، يوجد شخصان تهمني سوابقهما. وتنهد العقيد "بيك" وأرجع مِمطره إليه وسحب قلم حبر من جيبه ونفخ بفمه عليه وحدد:

– إذن؟ فقلت:

– اسم المنزل "ديانا لودج" في 20 شارع "ويلبراهام كريسنت". وتسكن فيه السيدة "همنج" مع – على الأقل – 18 قطة. فقال العقيد:

– "ديانا"؟ آه، إلهة القمر، أليس كذلك؟ ماذا تعمل هذه السيدة "همنج"؟ فقلت:

– لا شيء، فهي تكرس نفسها لقططها. فقال "بيك" معجبًا:

– صاعقة كغطاء، هل هذا كل شيء؟ فقلت:

– لا، في المنزل رقم 62 شخص يدعى "رامساي" يقال إنه مهندس في الأشغال العامة ويسافر بلا توقف. فقال العقيد:

– أوه! إني أحب ذلك، كم يعجبني ذلك! هل تريد أن نستعلم عنه؟ موافق؟ واستطردتُ:

– إنه متزوج بامرأة رقيقة وله طفلان كثيرا الشقاوة. وقال العقيد:

– ولِمَ لا وبعد كل ذلك توجد سوابق؟ فهل تتذكر "بندلتون". فهو كذلك كانت له زوجة وأولاد، وهو المخلوق الأكثر حيوانية ولم أقابل مثله إطلاقا! فقط زوجته تعتقد بكل إصرار أن زوجها كان رجلا شجاعًا طيبًا، فهو بائع كتب متخصص في الآداب الشرقية، ومع ذلك إني أتذكر أن هذا الـ "بندلتون" كانت له زوجة في "ألمانيا" وبنتان، وزوجة أخرى في "سويسرا"، تمويه أم مزاج غني، لا أعرف. وبعد ذلك؟ فقلت:

– بعد ذلك شيء مشكوك فيه ففي المنزل رقم 63 يوجد الأستاذ "ماك نوتن" وزوجته المريضة، وهو أسكتلندي يقضي وقته في زراعة الحديقة، ولا يوجد سبب للشك فيه. فقال:

– جيد، سوف نتحقق من ذلك، ومن أجل زيادة التأكيد سوف نفحصهم جميعًا، ولكن في الواقع لماذا هؤلاء الأشخاص؟ فقلت:

– لأن حدائقهم كلها تلاصق حديقة المنزل الذي حدثت فيه الجريمة. وقال:

– نعتقد أن هذا تمرين قواعد فرنسي، ألا وهو: أين جثة عمي؟ في حديقة عمتي، من يسكن بالمنزل رقم 19؟ فقلت:

– عمياء كانت قبل ذلك معلمة تعمل في مدرسة "بريل" ولكن البوليس المحلي استعلم عنها جيداً. وقال:

– هل تعيش وحدها؟ فقلت:

– نعم. وقال:

– ما هي الفكرة التي لديك بالنسبة إلى هؤلاء الأشخاص؟ فقلت:

– بالنسبة إليّ إذا كانت الجريمة قد ارتكبت في أحد هذه المنازل، لكان من السهل جداً وبكل جسارة أن تنقل الجثة إلى المنزل رقم 19 باختيار الوقت المناسب في اليوم، وهو احتمال بسيط، ولكن لدي هنا شيء ما لأظهره لك، أمسك. فأخذ "بيك" القطعة الملوثة بالطين التي قدمتها له وقال:

– قطعة تشيكية؟ أين عثرت عليها؟ فقلت:

– لست أنا. فقد وجدناها في الحديقة التي تقع خلف المنزل رقم 19.

– شيء مهم، في خلفية الأفكار الثابتة للهلاليات، فأحلامك القمرية يمكن أن تصل على الرغم من كل شيء إلى شيء ما، وأقترح عليك سيجارة؟ فقلت:

– شكرًا، ليس لديّ الوقت اليوم. فقال:

– هل سترجع إلى "كرودين"؟ فقلت:

– نعم، عليّ أن أذهب إلى المحكمة من أجل افتتاح التحقيق الذي سيؤجل بالتأكيد. فقال:

– هل أنت واثق بأنه لا توجد فتاة في حياتك؟ قلت بصوت جاف:

– واثق بطريقة مطلقة. وفجأة أخذ العقيد يقهقه، وقال:

– هيا يا صغيري، ارتكب خطأ، فمرة أخرى الجنس يقاوم ببشاعة، فمنذ متى تعرفت إليها؟

– ولا توجد أي... على أية حال هذا يعني... إن فتاة شابة هي التي اكتشفت الجثة. وقال:

– وماذا فعلتْ حينئذ؟ فقلت:

– صرختْ. وقال العقيد:

– تمامًا، وجرت لتبكي على كتفك لكي تقول لك كل شيء، هل هذا صحيح؟ فقلت:

– لا أعلم بماذا تريد أن تلمح، هيا انظر. وأعطيته رسومات المجني عليه، وسأل العقيد:

– من هو؟ فقلت:

– الرجل المقتول. فقال:

– عشرة مقابل واحد إن لم تكن صغيرتك اللطيفة هي التي قتلته، فكل هذه القصة تبدو مبهمة. فقلت:

– أنت لم تعرف الكلمة الأولى، فأنا لم أقصصْ عليك أي شيء. فأجاب العقيد:

– لا داعي إلى ذلك، اذهب، اجر إلى محكمتك يا صغيري، وراقب هذه الفتاة عن كثب، وهل تحمل اسمًا قمريًا بالمناسبة: "ديانا"... "أرتميس"؟ فقلت:

– لا... لا شيء.. فقال:

– جيد، صدقني سيكون ملائمًا لها.

الفصل الرابع عشر

منذ فترة طويلة لم أضع قدميَّ في "وايتهافن مانسيون " وبعد أن أخذت المصعد ذهبت لأرن جرس الباب رقم 203 ففتح لي فراش مهذب ذو ضحكة مرحبة وقال:

– الأستاذ "كولن"، لم نرك هنا منذ فترة طويلة! ووجدت صديقي "هركيل بوارو" جالسًا كالعادة في كرسي قصير وواسع ذي ذراعين في ركن قريب من المدفأة، وقال:

– آه! إنه أنت يا صديقي، صديقي الشاب "كولن" الذي أتمسك بتحيته من أجل نجاحه الأخير في قضية مدهشة: قضية "لاركن" إذا لم أخطئ؟ فقلت:

– إنها تسير بطريقة جيدة حتى هذه اللحظة، ولكن قبل أن أصل إلى أهدافي أمامي الكثير لأفعله، ومع ذلك لم أجئ لأكلمك عن هذه القضية. وقال "بوارو":

– بالتأكيد، بالتأكيد. ودعاني إلى الجلوس بحركة منه واقترح عليّ مشروبًا ساخنًا رفضته دون تردد، وبعد نظرة عابرة إلى الكتب المبعثرة حوله قلت ملاحظًا:

– يبدو أنك تقوم ببعض الأبحاث في هذه الأيام. فتنهد "بوارو" وقال:

– إذا أردت فهذا حقيقي في أحد معانيه، فقد شعرت برغبة ملحة في مواصلة التحقيق في الفترة الحاضرة، فلجأت إلى الروايات. واستطرد وهو يقبض على مجلد بعنوان "سر الغرفة الصفراء":

– أمسك، هذا كتاب كلاسيكي حقيقي يعجبني تمامًا، بأي منطق كتب، فإني أتذكر أني قرأت نقدًا يقول إننا نشعر فيه بالأسلوب، ولكن هذا خطأ يا عزيزي، منتهى الخطإ. ونحن نعتقد ذلك، ولكن يجب أن يوجد سُمْكُ شعرة، لا، فبطول المؤامرة كانت الحقيقة هنا مختبئة ومغلفة بكلمات وثيقة الصلة بالموضوع، وعندما يتلاقى الرجال الثلاثة في وصلة الممرات الثلاثة يجب علينا أن نكون قد فهمنا كل شيء، وهو عمل جميل حقيقة قد نسيناه تقريبًا في هذه الأيام على ما أعتقد. وأمسك بكتاب آخر وقال:

– وها هو "جاري جريجسون" أحد الكتاب الأغزر إنتاجًا للروايات البوليسية، فلقد كتب أربعًا وستين رواية هذا إذا كانت ذاكرتي قوية، وتحدث كثير من الأشياء في هذه الكتب، فهي مزيج معقد مرتبك لأحداث لا تصدق، من الميلودراما إلى المجرفة، ومن الدم

والجثث والعلامات كما تريد، ها هي، لا شيء يربطها بالواقع! ثم أمسك مجلداً جديداً وقال بحب:

– مغامرات "شارلوك هولمز". وأضاف باحترام:

– أستاذ. فقلت:

– من هو؟ "شارلوك"؟ فقال:

– أوه! ليس هو، فالمؤلف هو السيد "آرثر كونَن دُويْل"، ومع ذلك فهي عمليات مستبعدة، ولكنها قد كوفئت بموهبة أدبية، وأسلوب في اللغة، وهذا الدكتور "واتسن" العجيب، أي إبداع! آه حقيقة إنه يستحق النجاح! فقلت:

– جئت لأراك لأنه لديّ أنا نفسي حالة صعبة الحل، أي حادث اغتيال جميل. فقال "بوارو":

– للحل؟ أنت تقول حادث اغتيال؟ فقلت:

– نعم، وغير مفهوم تمامًا، تلك هي العقدة. فقال "بوارو":

– يستحيل، كل شيء يشرح كل شيء. وسمعني وأنا أقص عليه الحادثة بالتفصيل وهو يربت تلقائيًا ذراعه بأطراف أصابعه، وكان يجلس على مقعده ذي الذراعين، وعندما سكت لم ينطق بأي تعليق، فصرخت بعد بضع ثوان متعجلا الإجابة وقلت:

– ما قولك؟ فقال:

– ماذا تريدني أن أقول؟ فقلت:

– أعطني الحل، إني أسمعك، لقد فهمت دائمًا أنه يكفي أن تظل هادئًا جداً في الكرسي ذي الذراعين لكي تجد إجابة عن كل شيء. وأنه لا داعي تمامًا إلى أن أجري من اليمين إلى اليسار بحثًا عن العلامات. فقال:

– جيد، هذا ما أكدت عليه دائمًا. وقلت:

– جيد، أنا أتهمك بالخداع، "بوارو" أنت تخيب ظني، فقد كنت مقتنعًا بأنك ستجد لي مفتاح اللغز على الفور. فقال:

– لا يا عزيزي، فحتى الآن لم تحدد لي سوى صورة واحدة، وهناك نقاط أخرى يجب عليك توضيحها، فدون شك سوف يسرع البوليس في توضيح هوية الضحية، فالبوليس

يمتاز في هذا النوع من العمل. وقلت:

– وفقًا لك في هذه اللحظة لا يوجد شيء لتعمله. وقال:

– يوجد دائمًا شيء لنعمله. فقلت:

– على سبيل المثال؟ وقال وهو يشهر علامة حيوية تحت أنفي:

– على سبيل المثال التحدث مع الجيران. فقلت:

– لقد فعلت ذلك. فلقد صحبتُ "هاردكسل" في تحقيقاته، وهم لا يعرفون شيئًا. فقال:

– إنه رأيك الشخصي، ولكن هذا خطأ، إني أؤكد لك ذلك، فإذا سألناهم عمّا إذا كانوا قد رأوْا شيئًا غير طبيعي، فالناس سوف يجيبون لا بالتأكيد. وستصدق ذلك للوهلة الأولى، وإني لا أفهم ذلك هكذا عندما أنصحك بالذهاب للتحدث إليهم. تحدَّث، هذه هي الكلمة، وإذا كانوا هم الذين يتحدثون إليكم فسوف تتعلمون دائمًا شيئًا ما، فسواء تحدثوا عن حديقتهم، أم عن حيواناتهم، أم عن الحلاق أم عن زينتهم لا يهم، يوجد دائمًا كلمة كاشفة، تقول لي إن محادثاتهم لم تعلمكم شيئًا، اسمح لي أن أشك إذا كنت تستطيع فقط أن تكرر لي الكلام كلمة كلمة. فصرخت وقلت:

– سهل جدًا، فكمساعد للمفتش تعلمت كل شيء بالاختزال، أمسك، ها هي. فقال:

– آه! أي غلام شجاع! أي غلام شجاع! بالضبط هذا ما كان يجب أن تفعله! تمامًا، إني أشكرك كثيرًا. وسألته متضايقًا عمّا إذا لم تكن له نصيحة أخرى يعطيها لي، فقال:

– نعم دائمًا، هذه الفتاة على سبيل المثال، تحدث إليها إذن، واذهب لرؤيتها، فأنتما الآن صديقان، أليس كذلك؟ ألم تستقبلها بين ذراعيك عندما هربت وهي مرتعبة من هذا المنزل؟ فقلت:

– ميلودرامات "جاري جريجسون" قد أثرت فيك، لقد تبنيت لهجة الظروف. واعترف "بوارو" بقوله:

– يمكن أن يكون لديك حق، فإن الأمر ينتهي بنا بأن نصاب بالعدوى من نوع الروايات التي نقرؤها. فقلت:

– أما بالنسبة إلى الفتاة... فإني أحب جيداً... بل أفضل... وقال "بوارو" :

– آه! إنه هذا إذن، فعلى الرغم من كل شيء، إنك في شعورك الباطن تخشى أن تكون متورطة في هذا الحادث. فقلت:

– وجودها لم يكن سوى مصادفة. وقال:

– لا، لا يا عزيزي، المصادفة هي أن تُتهم بدلا من شخص آخر، وأنت تعرف جيداً أنها هي وليس شخصًا آخر التي طُلبت بالتليفون. فقلت:

– ولكنها تجهل السبب. وقال:

– هل اقتنعت حقيقة؟ فأكثر من محتمل أنها تعرف السبب ولا تعترف به. فقلت مكرراً بإصرار:

– لا أعتقد. وقال:

– وحتى بقبولنا أنها لا تعرف الحقيقة، ليس سوى بالحديث إليها يمكنك اكتشاف ذلك. فقلت:

– لا أعرف جيداً كيف... أوه... أي أنني أعرفها منذ وقت قليل. وأغلق "بوارو" عينيه وقال بحكمة:

– عندما يشعر شخصان من جنسين متعارضين بانجذاب أحدهما تجاه الآخر، وهذه الأشياء تحدث كثيراً... هل هي فتاة جميلة؟ فقلت:

– نعم... فقال وهو يأمرني بحماس:

– إذن، تحدث معها بما أنكما الآن صديقان، وبأي حجة، وارجع لترى العمياء لتتحدث معها، واذهب كذلك إلى الوكالة لأي سبب لتكتب تقريراً على الآلة الكاتبة على سبيل المثال، وهناك ليس أسهل من أن تتعرف إلى إحدى المستخدمات الشابات! وبعد ذلك تعال لتراني لتقص عليّ كل ذلك. فصرخت:

– الرحمة. فقال "بوارو" :

– لا، لا، هذا سيسليك. وقلت:

– ألا تعلم أن لديّ كذلك عملي الشخصي؟ فقال:

– قليل من الاسترخاء سيكون شيئًا صحيًا بالنسبة إليك. وأكد لي:

– ستعمل بطريقة أفضل بعد ذلك. ووقفت وأنا أضحك وقلت:

– شكراً يا دكتور، هل توجد نصائح أخرى من حكمتك؟ وما الموضوع الغريب الذي تفكر فيه لساعات؟ فأغلق "بوارو" جفونه وأسند ظهره إلى الكرسي ذي الذراعين ونطق هذه المقاطع الشعرية التي لم أكن أنتظرها أمام دهشتي الكبيرة:

– قال "مورس": "لقد حان الوقت المناسب جداً

لمناقشة موضوعات مختلفة

سفن، أحذية، شجر وحاء.

ملوك، محيطات، أو حتى لفت

لماذا سوف تغلي المياه،

وعلى ظهور الخنازير تنتفض الأجنحة؟"

وقال:

– هل تتابعني؟ فقلت:

– قطعة من ""أليس" في بلاد العجائب"، النجار والـ"مورس"؟ وقال:

– بالضبط، فكر، ففي الوقت الحالي هذا كل ما أستطيع أن أفعله بالنسبة إليك ياعزيزي.

الفصل الخامس عشر

في المحكمة كان هناك جمهور من الناس، وتدافع الناس القاطنون بحي "كرودين" بحثًا عن اكتشافات مثيرة، ومع ذلك استمر التحقيق مختصراً بأقصى ما يمكن، وأخطأت "شيلا ويب" في الخوف من هذه التجربة لبضع دقائق على الأقل، فلقد تم الاتصال بالمكتب حتى تذهب إلى المنزل رقم 19 بشارع "ويلبراهام كريسنت"، وبالإذعان للتعليمات التي حصلت عليها دخلت البهو حيث اكتشفت الجثة، وصرخت وهربت لتبحث عن مساعدة، وبالنسبة إلى الآنسة "مارتندال" فإن استجوابها استمر لفترة قصيرة كذلك. فقد تم الاتصال بها للحصول على سكرتيرة – وبالذات الآنسة "شيلا ويب" –

وذلك في الساعة الواحدة و49 دقيقة بعد الظهر، وهي الساعة التي دونتها في مفكرتها، ولم يُطلب منها شيء آخر.

وأنكرت السيدة "بيبمارش" التي أعقبتها إلى حرم المحكمة أنها اتصلت بوكالة "كافنديش" للحصول على كاتبة آلة كاتبة، ثم جاءت الشهادة السريعة والموضوعية للمفتش "هاردكسل"، فبناءً على اتصال هاتفي ذهب في الحال إلى المنزل رقم 19 بشارع "ويلبراهام كريسنت" حيث وجد الرجل المقتول، وسأله وكيل النيابة:

– هل استطعت التعرف إلى الضحية؟ وكان يريد التعرف، فأجاب:

– لا، ليس بعد، ولهذا السبب أقترح التأجيل من أجل استكمال التحقيق. ثم جاء الدور على الطبيب الشرعي الذي بعد أن قلب مواضيعه، لخص وصوله إلى المنزل الذي وجد فيه القتيل، ولخص نتائج فحوصاته، وسأله وكيل النيابة:

– هل لديك فكرة عن الساعة التقريبية للوفاة يا دكتور؟ فأجاب:

– لم أصل سوى في الساعة الثالثة والربع بعد الظهر، وساعة الوفاة تقع بين الساعة الواحدة والنصف والثانية والنصف بعد الظهر. وسأله وكيل النيابة:

– هل تستطيع التحديد؟ فأجاب:

– لا، هذا صعب عليّ، وبالتخمين سأقول في حوالي الساعة الثانية بعد الظهر بل بالأحرى قبل ذلك، ولكن السن والصحة... هناك عدة عوامل تؤثر فيها. وسأله وكيل النيابة:

– هل قمت بتشريح الجثة؟ فأجاب:

– نعم. وقال وكيل النيابة:

– ما هي أسباب الوفاة؟ فأجاب:

– الطعن بنصل رقيق وحاد جداً، من نوع سكينة القطع على سبيل المثال... فالسن توغل... وفقًا للتفاصيل الفنية فالسن توغل حتى المكان بالضبط حيث اجتاز القلب. وسأل وكيل النيابة:

– هل الوفاة حدثت على الفور؟ فأجاب:

– بعد بضع ثوان على أقصى تقدير. وسأله وكيل النيابة:

– هل استطاع أن يصرخ أو يقاوم؟ فأجاب:

– يستحيل ذلك بسبب الحالة التي كان عليها. فقال وكيل النيابة:

– فسر يا دكتور. فقال الدكتور:

– العديد من الفحوصات بالمعمل والاختبارات على أمعائه جعلتني أستنتج أنه كان مخدراً وأنه كان في حالة نصف غيبوبة عندما قتل. وسأله وكيل النيابة:

– واسم هذا المخدر هل تستطيع أن تقوله لنا؟ فقال:

– نعم "هيدرات الكلورال". فسأله وكيل النيابة:

– وفقًا لرؤيتك، كيف تم إعطاؤه له؟ فقال الدكتور:

– في الكحول دون شك، فقد كان التأثير على الفور تقريبًا. وقال وكيل النيابة بصوت منخفض:

– نسمي ذلك "ميكي فِن" على ما أعتقد. وقال الدكتور:

– بالضبط، فقد شرب ذلك دون أدنى شك وبعد لحظات سقط مغشيًّا عليه. وقال وكيل النيابة:

– وبناءً على وجهة نظرك هل طُعن وهو في حالة اللاوعي؟ فقال الدكتور:

– إني مقتنع بذلك، ونستنتج ذلك من مظهره السلمي وعدم وجود علامة على أي نوع من المقاومة. وسأله وكيل النيابة:

– بناء على وجهة نظرك عندما طُعن كان قد فقد الوعي منذ كم من الوقت؟ فقال الدكتور:

– من الصعب عليّ أن أقول ذلك، فكل شيء يعتمد على التمثيل الغذائي لكل واحد. وعلى كل حال منذ نصف ساعة على الأقل، ويمكن أن تكون أكثر من ذلك بكثير. فقال وكيل النيابة:

– شكرًا يا دكتور، هل يمكن أن تقول لنا ما إذا كان الضحية قد تناول طعامًا؟

– إذا كنت بذلك تريد أن تعرف ما إذا كان قد تناول الغداء، فلا بالتأكيد، فلم يتناول أي شيء منذ أربع ساعات على الأقل. وقال وكيل النيابة:

– شكرًا يا دكتور "ريجز"، فهذا كل شيء. وتجول وكيل النيابة ببصره في القاعة وقال:

– لقد تأجلت الجلسة حتى يوم 28 من شهر أيلول (سبتمبر) . وعلى ذلك تشتت الناس خارج المحكمة، ومع ذلك بالقرب من الباب، ترددت "إدنا برنت" – التي كانت قد جاءت مع الفتيات الأربع من وكالة "كافنديش" – في الخروج، وكل المكتب كان في إجازة في الصباح، فسألتها "مورين ويست" وقالت:

– إذن "إدنا" ؟ سوف نذهب لتناول الغداء في مطعم "بلوبيرد" ؟ فلدينا كل الوقت، أنت على أي حال. فأجابت "إدنا" وقلبها مجروح:

– لقد الصقتني المتوحشة بالمجموعة الأولى اليوم. واستطردت قائلة:

– هذا رديء، فأنا أفكر في أن أختلس ساعة لأتسوق وأتسكع أمام الواجهات وأتمتع بالنظر إليها. فردت عليها "مورين ويست" :

– إن المتوحشة قد أنهت كل شيء، لا يوجد من هو أكثر بخلا منها! فإننا نعمل من جديد في الثانية بعد الظهر ويجب أن نراجع كل شيء، هل تبحثين عن شخص ما؟ فقالت "إدنا" :

– نعم، "شيلا" ، لم أرها وهي تخرج مرة أخرى. فقالت "مورين" :

– لقد هربت بعد شهادتها مباشرة مع رجل شاب ولم أر من هو، إذن سوف تعودين إلى الوكالة؟ ولكن "إدنا" وهي مترددة دائمًا انتهى بها الأمر بأن قالت:

– اذهبا. . . ومع ذلك فسأذهب لأتسوق. وابتعدت "مورين" برفقة فتاة أخرى، وتباطأت "إدنا" ، وقررت أخيراً أن تقابل المخبر الأشقر الشاب وتعرف ذلك من رجل الحراسة، فقالت وهي تتمتم بصوت خجول:

– أريد التحدث إلى الشخص الذي جاء إلى المكتب، لا أعرف من يكون المفتش. فأجاب:

– المفتش "هاردكسل" ؟ فقالت:

– إنه هو، هو الذي أدلى بشهادته هذا الصباح. والتفت تجاه المحكمة ووجد المخبر الشاب المفتش وهو يجري حواراً جاداً مع الرئيس ووكيل النيابة، وقال:

– يبدو أنه مشغول في هذا الوقت يا سيدتي، هل تريدين أن تأتي فيما بعد أم تفضلين أن أقوم بالمهمة؟ هل هذا مهم؟ فقالت "إدنا" :

– أوه! لا ليس مهمًا جداً، فربما يكون ما قالته صحيحًا لأنه... هل تعي. ثم ابتعدت وحاجباها مقطبان. وتركت سوق "**كورن ماركت**"، وتسكعت في "**الهاي ستريت**"، وجبهتها دائمًا مقطبة واجتهدت في التفكير، ولكن التفكير لم يكن أقصى ما تعمله "**إدنا**"، فكلما حاولت أن ترى بوضوح تشوشت روحها، وقالت بصوت مرتفع:

"لكن مستحيل، لا يمكن أن يكون قد مضى هكذا". وفجأة قررت العودة إلى شارع "**ألباني رود**" في اتجاه "**ويلبراهام كريسنت**" ومنذ أن نشرت الصحف خبر الوفاة زاد عدد الذين كانوا يأتون كل يوم ليحتشدوا أمام المنزل رقم 19في شارع "**ويلبراهام كريسنت**". سحر غريب مارسه الطوب والأسمنت على الجموع في هذه الظروف، وفي اليومين الأولين أوقف البوليس مخبراً في هذا المكان لإجبار الناس على عدم الوقوف، ثم رويداً رويداً قل عدد الشغوفين دون أن يتلاشى تمامًا مع ذلك.

وفي هذا المكان كانت تظهر "**إدنا**" كل يوم وهي تدفع في أثناء سيرها مجموعة صغيرة من المتسكعين وهم يتأملون منزل الجريمة، وقلدتهم في الحال "**إدنا**" الحساسة. لقد حدث الحادث هنا في هذا المكان، وفي هذا المنزل الجميل. هنا رجل تم اغتياله بسكين المطبخ. مثل كل الناس قمنا... وكانت "**إدنا برنت**" تنظر إلى ذلك وهي مبهورة بمن يحيطون بها ولم تفكر مطلقًا في أي شيء... وبدأت تنسى لماذا كانت قد جاءت... عندما انتفضت فجأة وكان ثَمَّ صوت يكلمها في الأذن، وعندما تعرفت إليه استدارت وهي مندهشة جداً.

الفصل السادس عشر

ورأيت "**شيلا ويب**" وهي تنسحب من المحكمة، وكانت شهادتها واضحة جداً، وقد قالتها بصوت يشوبه بعض من العصبية، ولكنها كانت طبيعية جداً. وكما يقول "**بيك**": "أي موهبة جميلة لفنانة! وكنت أتمنى سماعه". وحضرتُ الانقلاب المفاجئ للدكتور "**ريجز**"، بينما كان "**ديك هاردكسل**" دون شك يعلم بكل شيء ولم يحذرني، ثم تعقبتها وقلت لها على مستواها:

– إذن الأمر لم يكن مخيفًا هكذا! فقالت:

- لا بسيط جداً على العكس تمامًا، فوكيل النيابة بدا لي مهذبًا جداً والآن، ماذا سيحدث؟ فقلت:

- سوف تؤجل الجلسة إلى وقت لاحق في انتظار شهود آخرين. إلى حوالي خمسة عشر شاهداً، أو حتى يتم التعرف إلى المتوفى. فقالت:

- هل تعتقد أن ذلك سيحدث؟ قلت:

- أوه! نعم دون مشاكل. فقالت وهي ترتعش:

- كم أن الجو بارد اليوم! وكان ذلك كذبًا. ففي الواقع كان الجو ساخنًا تقريبًا، فقلت لها:

- ما قولك في أن نتغدى في الحال؟ فأنت لن تعودي إلى عملك أو إلى مكتبك قبل الثانية بعد الظهر؟ فقالت:

- نعم، ليس قبل ذلك. قلت:

- إذن تعالي، هل تحبين المطبخ الصيني؟ ففي نهاية هذا الشارع يبدو أني أرى مطعمًا صينيًا صغيراً. فقالت:

- لا، صراحة، فإن عليّ أن أتسوق. قلت:

- حسنًا، تسوقي فيما بعد. فقالت:

- مستحيل؛ كثير من المحلات تغلق فيما بين الواحدة بعد الظهر والثانية بعد الظهر. فقلت:

- حسنا، موعدنا هناك بعد نصف ساعة، فهل أنت موافقة؟ فقالت:

- موافقة. وذهبت لأجلس على شاطئ البحر محتميًا من الريح، وجلست إلى نفسي في هذه الساعة، وأردت أن أفكر، وكنت أستشيط دائمًا غضبًا حين أفكر في أن أشخاصًا عديدين يعرفون عن نفسك أكثر من نفسك، ومع ذلك فـ"هاردكسل"، و"بوارو"، و"بيك" العجوز عرفوا كلهم عني بكل وضوح ما كنت مجبراً على تقبله الآن. إن هذه الفتاة كانت تثير اهتمامي، وإني تمسكت بها أكثر من اي فتاة أخرى عرفتها من قبل، وهذا ليس من أجل جمالها، فقد كانت جميلة، وشخصية أصيلة، ولكن ليس أكثر من ذلك، ولا من أجل جاذبيتها الجنسية فأنا لم أولد من المطر الأخير، وقد لعبوا معي جميع

أنواع العواطف، لكن للوهلة الأولى – وقد تعرفت إليها منذ فترة وجيزة – فهمت أنها، أنها كانت لي، وبعد الثانية بعد الظهر بقليل رجعت إلى قسم البوليس لرؤية "ديك" الذي وجدته في مكتبه وهو يقلب كمية من الورق القديم، ورفع عينيه وسألني عمّا فكرت فيه من التحقيق، فقلت:

– لقد جرى بطريقة جيدة وبكثير من المهارة. فقال:

– نحن نعرف أن نقوم به، فهذه واحدة من تخصصاتنا الوطنية، وما تفكيرك في التقرير الطبي؟ فقلت:

– قنبلة حقيقية، لماذا لم تقُل لي من قبل؟ فقال:

– كنت قد رحلت، وهل استشرت الإخصائي الخاص بك؟ قلت:

– نعم، بالتأكيد. وقال:

– إني أتذكره بكل غموض، فهو ذو شاربين كثيفين، أليس كذلك؟ قلت:

– محقق. وقد اعترفت بذلك أنه يكبره. قال:

– يجب أن يكون عجوزاً؟ قلت:

– نعم، ولكن غير مخرف. وقال:

– ولماذا ذهبت لرؤيته؟ محبة مسيحية؟ قلت:

– أي روح محقق تمتلكونها أنتم يا رجال البوليس الآخرين! نعم إني أعترف بذلك، فجزء من الزيارة من أجل ذلك، ولكني كنت كذلك شغوفًا لمعرفة رأيه في القضية. وقال:

– هل درس المحضر؟ قلت:

– نعم. وتساءل "ديك" بكل شغف:

– وما رأيه؟ فقلت:

– قال لي: "بسيط مثل صباح الخير". فانتفض "هاردكسل" وكأنه قد لدغ بشدة وقال:

– بسيط؟ ولماذا ذلك؟ فقلت:

– على قدر ما استطعت أن أُخمن؛ لأنه توجد مسرحية. فقال "هاردكسل":

– إني لا أفهم، ويحتمل أن يكون شيئًا ماكرًا جداً ولكني لا أفهمه، وفيما يخص القضية لقد وجدنا سلاح الجريمة، منذ أمس. فقلت:

– حقيقة؟ أين إذن؟ قال:

– في حفرة القطط، يحتمل أن يكون القاتل قد ألقاها . فقلت:

– لا توجد بصمات بطريقة طبيعية؟ قال:

– لقد مُسحت بكل عناية، أضف إلى ذلك أنها سكين عادية جداً وليست جديدة، مشحذة حديثًا، سكين شخص ما. وقلت:

– أنت تتحدث عن سيناريو (مخطط لمسرحية) ويبدو أنه تم تخديره ثم نُقل إلى المنزل رقم 19بالسيارة، أو كيف؟ قال:

– على سبيل المثال أي من البيوت الذي له حديقة فاصلة. فقلت:

– كثير من المخاطر، أليس كذلك؟ وقال "هاردكسل" :

– يجب أن يكون جسوراً، أضف إلى ذلك أنه من الضروري أن نعرف جيداً عادات الجيران، ويبدو أنه أكثر احتمالا أن يكون قد تم نقله بالسيارة. وقلت:

– إنه خطر، فالعربة لا تسير دون أن تُكتشف. فقال:

– لم يره أحد، ولكني أعترف أن القاتل لا يستطيع أن يخمن ذلك، والمارة كان بإمكانهم ملاحظة أن سيارة توقفت عند المنزل رقم 19 في هذا اليوم. وقلت:

– إني أسأل نفسي، إلا إذا كان نموذجًا معينًا لافتًا للنظر، ولكن هناك فرصًا قليلة من أن تكون تلك هي الحالة. فقال:

– أضف إلى ذلك أنها ساعة تناول الغداء، هل تفهم يا "كولن"، إن ذلك يجعل السيدة "بيبمارش" تقوم بالتسوق؟ إننا نتخيل بصعوبة أن امرأة عمياء تطعن بخنجر رجلا سويًا ولكنه كان مخدراً... وقلت:

– بمفهوم آخر إذا كان قد جاء إلى هذا المكان لكي يُقتل كما تقول السيدة الطيبة "همنج"، فإنه يُحدَّد له موعد يذهب فيه دون أي احتراس، ويُقدَّم عصير أو شراب إليه – ويعمل "الميكي فِن" – والسيدة "بيبمارش" تعمل ثم تغسل الكوب وترتب بعناية الجثة وبعد أن تلقي سكينها في الحديقة المجاورة فإنها تذهب وهي تهرول كالعادة. ثم أضاف قائلا:

– وفي طريقها تتصل بوكالة "كافنديش". وقلت:

– ولماذا ذلك؟ لماذا تحدد أنها تريد "شيلا ويب"؟ فقال "هاردكسل" وهو يثبت نظره فيّ:

– هذا هو السؤال، فهل تعرف الفتاة ذلك؟ فقلت:

– إنها تؤكد أنها لا تعرف. وكرر "هاردكسل" بصوت محايد:

– إنها تؤكد، وأنت ما هو رأيك؟ وظللتُ لحظة صامتًا. رأيي؟ وكنت محرجًا. إن الحقيقة تنتهي دائمًا بأن تُعلن، وإذا كانت "شيلا" هي التي أعتقدها فهي لا تخاطر بشيء. بحركة مفاجئة سحبت البطاقة من جيبي ودفعتها على المنضدة في اتجاهه وقلت:

– هذا ما تسلمته "شيلا" عن طريق البريد. وفحصها "هاردكسل"، وكانت بطاقة تمثل محاكم الجنايات في "لندن" موجهة إلى السيدة "ر. س. ويب" 14 شارع "بالمرستون رود كرودين" وعلى الجزء الأيسر كلمتان فقط: "تذكريني" وإلى أسفل: "4:13" ولاحظ "هاردكسل" وقال:

– "4:13" هي الساعة التي كانت تبينها كل هذه الساعات يوم الجريمة. ثم استطرد وهو يهز رأسه:

– هذه الصورة لـ "أولد بيلي" وهذه الكلمات... كل ذلك يجب أن يناسب شيئًا ما. فقلت:

– هي لا تفهم شيئًا وأنا أصدقها. وقال:

– إني سأحتفظ بهذه البطاقة، فإنه يمكن أن تخدمنا يومًا ما. وقلت:

– فلنتمنَّ ذلك. ودق جرس الهاتف، وأخذ "هاردكسل" السماعة وقال:

– نعم، ماذا؟ من الذي وجدها؟ هل عرفت اسمها؟ هيا بنا. ثم وضع السماعة، ونظر إليّ نظرة مضطربة حاقدة تقريبًا وقال:

– من فترة وجيزة تم اكتشاف فتاة شابة مقتولة في إحدى كبائن التليفونات بـ"ويلبراهام كريسنت" فقلت وأنا مذهول:

– ميتة، كيف؟ فقال:

– مخنوقة بالوشاح الخاص بها. وشعرتُ فجأة بأني متجمد، وثبّت "هاردكسل" نظره تجاهي، وهو ينظر إليّ نظرة ناقدة ومتأمّلة لم تعجبني، وقال:

– لا تخش يا "كولن"، إنها ليست صديقتك الصغيرة، لكن واحدة من صديقاتها في العمل: "إدنا برنت". وقلت:

– من الذي اكتشفها، مخبر؟ فقال:

– لا، المرأة التي في المنزل رقم 18، السيدة "ووترهاوس"، فقد كان تليفونها معطلا، فذهبت كما تحكي إلى كبينة التليفون حيث وجدتها ملتوية في ركن. وانفتح الباب أمام أحد المخبرين وقال:

– الدكتور "ريجز" اتصل هاتفيًا منذ فترة وجيزة وقال إنه سيذهب إلى مكان الحادث في الحال وإنه سيقابلك في "ويلبراهام كريسنت".

الفصل السابع عشر

وبعد ذلك بنصف ساعة ظهر في مكتب "هاردكسل" مخبر شاب عصبي جدًا، وقال:

– معذرة يا سيدي المفتش، لكن حدث شيء أعتقد أنه من الأفضل أن أقوله لك. فقال "هاردكسل":

– من؟ ماذا؟ فأجاب المخبر:

– إنه بعد التحقيق يا سيدي المفتش، كنت في حراسة على الباب، والفتاة الشابة– الضحية – تحدثت إليّ، وكانت تريد أن تراك. فانتبه "هاردكسل" فجأة وانتصب، وقال:

– أن تراني؟ لأي موضوع، هل قالته لك؟ فقال:

– لا يا سيدي المفتش، أنا آسف، كان عليّ أن أقلق، وقد سألتها عمّا إذا كانت تريد أن تترك رسالة أو إذا كان يمكنها أن تعود بعد ذلك بقليل إلى قسم البوليس؛ لأنك كنت في مؤتمر مع الأستاذ رئيس المحكمة والأستاذ وكيل النيابة، واعتقدت أنه من الأفضل... فقال "هاردكسل" وهو يخمن بصوت منخفض:

– ألم تستطع أن تجعلها تنتظر! فقال:

– آسف يا سيدي المفتش (واعتذر وهو خجلان)، لو كنت أعرف لما ترددت، لكن هذا الأمر لم يبد مهمًا، فهي نفسها أكدت لي وقالت: "إنه فقط شيء يقلقها". وتمتم "هاردكسل":

– يقلقها... ثم فكر لحظة وهو صامت. إنها هي الفتاة التي كان قد قابلها في الشارع وهو يزور السيدة "لوتن" كانت ترغب بشدة في رؤية "شيلا ويب"، وقال "هاردكسل":

– اسمع يا "بيرس"، احك لي كل ما تعرف بالتفصيل. وأضاف "هاردكسل" بمروءة:

– إنك لم تستطع أن تخمن أهمية هذا الشيء. ولمعت معرفة "بيرس" في خلفية حدقتي عينيه وقال:

– حسن عزيزي المفتش، ها هو ما أعرف، بعد أن خرج الناس وبعد أن تسكعت لحظة وهي تنظر إلى ما حولها كما لو كانت تبحث عن شخص ما جاءت لتجدني؛ لكي تطلب مني التحدث إلى المفتش الذي شهد على ما قالته، وكنت سيادتك تتناقش مع السيد رئيس المحكمة والسيد وكيل النيابة، وأجبتها أن سيادتك مشغول، وأن تترك لك رسالة أوأن تعود فيما بعد. ويبدو لي أني سمعتها تتمتم أن هذا الشيء لا داعي إليه، وسألتها عمّا إذا كان هذا الشيء مهمًا... وساله "هاردكسل" وهو يميل تجاهه:

– وبعد ذلك؟ فقال:

– أجابتني: "لا، ليس كثير الأهمية". وقالت: "فقط إنه لا يمكن أن يكون هذا قد حدث كما قصته". وكرر "هاردكسل":

– لا يمكن أن يكون قد حدث كما هي قصته؟ فقال:

– بالضبط يا عزيزي المفتش، وأنا لا أتذكر الكلمات بالضبط، ولكن بدا عليها أنها مشغولة وقطبت حاجبيها، ومع ذلك عندما سألتها مرة أخرى أكدت لي أن هذا الأمر ليس له أهمية كبرى. فقال "هاردكسل":

– ليس له أهمية كبري كما قالت الفتاة الشابة التي وجدت بعد ذلك بقليل مخنوقة في كبينة تليفون! هل استطاع شخص آخر أن يسمع محادثتكما؟ فقال "بيرس":

– أوه! كان هناك كل الناس الذين يخرجون، وكانوا كثيرين، ولقد أحدث هذا الاغتيال ضجة في الجلسة مع كل الدعاية التي حدثت في الصحف. فقال "هاردكسل":

– وأنت لا تذكر أي شخص كان واقفًا بالقرب منك على وجه التحديد؟ أحد الشهود على سبيل المثال؟ فقال "بيرس":

– لا يا عزيزي المفتش. إني آسف بشدة. فقال "هاردكسل":

– حسن، جيد يا "بيرس"، إذا تذكرت شيئًا آخر بالمصادفة فتعال في الحال لتجدني.
وقاوم "هاردكسل" حزنه الذي غزاه عندما ظل وحيداً واستدار ضد نفسه، فهذه الفتاة التي كانت تبدو خائفة تعرف شيئًا ما – سواء سمعته أم رأته – وكان ذلك يقلقها. وجلسة المحكمة لم تؤدِّ سوى إلى زيادة قلقها. هل كانت على اتصال مع الشهود؟ يحتمل مع شهادة "شيلا"، وهذا يفسر أنها حاولت أن تراها عند خالتها أول أمس، فهل عرفت شيئًا مقلقًا عن "شيلا"؟ ويمكن أنها كانت ترغب في تفسير منها وحدها، وليس أمام الآخرين، وكل شيء يدعو إلى اعتقاد كل شيء، ومد "هاردكسل" يده تجاه التليفون وطلب "كولن"، وعندما صار على الخط قال "هاردكسل":
– هنا "هاردكسل"، في أية ساعة تناولت الغداء مع "شيلا ويب"؟ وتردد "كولن" ثم أجاب:
– من قال لك إننا تناولنا الغداء معًا؟ فقال "هاردكسل":
– لقد أحسنت التقدير، أليس ذلك حقيقة؟ فقال "كولن":
– هذا يناقضك؟ وقال "هاردكسل":
– لا، إني أسألك ببساطة، في أية ساعة بعد التحقيق مباشرة؟ فقال "كولن":
– لا، كان عليها أن تتسوق، وقد تلاقينا في المطعم الصيني في الساعة الواحدة بعد الظهر. فقال "هاردكسل":
– هذا حسن. وألقى "هاردكسل" نظرة على ملاحظاته: "إنه تم اغتيال "إدنا برنت" فيما بين الساعة الثانية عشرة ظهراً والساعة الواحدة بعد الظهر". وقال "كولن" بخشونة:
– هل ما أكلناه يهمك؟ فقال "هاردكسل":
– لا تتعب إني أريد الساعة بالضبط، هذا هو كل شيء من أجل تقريري. فقال "كولن":
– آه! حسن إذن كنا هناك... وحدث صمت ثم بعد أن تصالحا اقترح "هاردكسل" قائلا:
– إذا لم يكن لديك شيء أفضل تعمله هذا المساء... فقاطعه "كولن" قائلا:
– إني راحل، وقد كنت أقوم بغلق حقيبتي، وعندما دخلت هذا المكان وجدت رسالة

تحثني على وجوب السفر إلى الخارج. فقال "هاردكسل" :

– ومتى ستعود؟ فقال "كولن" :

– بعد أسبوع، ويمكن أكثر من ذلك، وقد لا أعود. فقال "هاردكسل" :

– أي حادث سيئ بالنسبة إليك، هل أخدع نفسي؟ وقال "كولن" متفلسفًا:

– من يعرف؟ ربما إلى الأبد.

الفصل الثامن عشر

وصل "هاردكسل" إلى المنزل رقم 19 في اللحظة التي كانت تتأهب فيها السيدة "بيبمارش" للخروج، وقال لها:

– هل أنت على علم بما جرى؟ فقالت:

– بماذا إذن؟ فقال:

– لقد فكرت في أنهم أعلموكِ به، فقد تم اغتيال فتاة شابة في كبينة التليفون في ركن الشارع. فقالت:

– مقتولة؟ ومتى حدث ذلك إذن؟ فقال:

– منذ حوالي ساعتين ونصف. وقالت بصوت لاذع كما لو أنها قد وعت فجأة بعجزها:

– لم ينبس لي أحد ببنت شفة، لا أحد، فتاة شابة مقتولة ومن هي؟ فقال:

– "إدنا برنت" موظفة بوكالة "كافنديش". فقالت:

– شخص آخر من هناك، لكن هل تم دعوتها مثل الفتاة الأخرى التي تدعى "شيلا ويب"؟ فقال:

– لم يتم دعوتها وفقًا لمعلوماتي، ألم تجئ لزيارتك عن طريق المصادفة؟ فقالت "بيبمارش":

– زيارتي أنا؟ لا بالتأكيد. وقال:

– هل كنت بمنزلك في هذه الساعة؟ فقالت:

– يمكن، في أي ساعة تقصد؟ وقال:

– فيما بين الثانية عشرة والثانية عشرة والنصف. وقالت السيدة "بيبمارش" مذعنة:

– نعم، يجب أن أكون قد عدت إلى منزلي. قال:

– أين ذهبت بعد التحقيق؟ قالت:

– إلى المنزل مباشرة. وصمتت ثم أضافت:

– ما الذي يجعلك تفكر في أن هذه الفتاة كانت ترغب في رؤيتي؟ قال:

– ألم تكن بالمحكمة هذا الصباح؟ فقد لمحتكِ، وحتى تجيء إلى "ويلبراهام كريسنت" يجب أن يكون هناك سبب. قالت:

– ولماذا تجيء عندي، هل ذلك فقط لأنها لمحتني في المحكمة؟! فقال المفتش:

– حسنا. وضحك ضحكة بشوشة ثم بسرعة وقد تيقن من أنها لا يمكنها مشاهدة هذه الضحكة حاول أن يعبر عن نفسه بنبرة صوته:

– حسنًا، مع هؤلاء الأشخاص الشباب يمكن أنها كانت تريد بكل بساطة توقيعًا منك. وقالت السيدة "بيبمارش" فجأة وهي تحتقر سؤالها توقيعًا:

– نعم، يجب أن يكون عندك حق، فهذا يحدث في أغلب الأحيان، ولكن اليوم ياسيدي المفتش، لم يطلب مني أحد توقيعًا، ثم عدت إلى المنزل ولم يجئ إليّ أحد. وقال:

– حسنا يا سيدتي "بيبمارش"، شكرًا، ففي مهنتنا نفضل أن نتحقق من كل الاحتمالات وكل الافتراضات. وتساءلت السيدة "بيبمارش":

– ما عمرها؟ فقال:

– تسعة عشر عامًا على ما أعتقد. فقالت:

– تسعة عشر عامًا؟ إنها صغيرة جدًا (وتغير صوتها تغيرًا طفيفًا) يا إلهي! الصغيرة المسكينة! كيف يمكننا قتل طفلة في هذه السن! وقال:

– إنها أشياء تحدث. وانصرف كما هو الحال في أغلب الأحيان وقد تأثر بشدة بشخصية "بيبمارش"، وكانت السيدة "ووترهاوس" كذلك في منزلها كعادتها، وفتحت الباب على آخره مرة واحدة لرغبتها الشديدة في مفاجأة شخص قد أخطأ. وقالت:

– أوه! إنه انت، لقد قصصت على رجالك كل ما أعرفه. وقال "هاردكسل":

– إنني لا أشك في ذلك، لكن تبقى دائمًا بعض الأسئلة التي يجب طرحها، ونحن نحتاج إلى تفاصيل جديدة. وقالت:

– حسنًا ادخل إذن بسرعة، لا تنتظر عبثًا على ممسحة الأرجل، واجلس إذن، فكما قلت لك أنا خرجت لأتصل بالهاتف، وعند فتحي لباب الكبينة رأيت الفتاة ولم أشعر قط بالخوف، وجريت لأبحث عن مخبر. وهكذا أنهت السيدة "ووترهاوس" كلامها بصوت خشن. وقال:

– ألم تريْ هذه الفتاة مطلقًا من قبل؟ فهي إحدى كاتبات الآلة الكاتبة بوكالة "كافنديش". فقالت:

– لم أتصل مطلقًا بكاتبة اختزال وآلة كاتبة إلا إذا كانت قد عملت من أجل أخي إذا كان ذلك ما تقصده. وقال المفتش:

– لا، لا يوجد أي ارتباط، إنني أتساءل فقط عما إذا كانت لم تحضر لرؤيتك هذا الصباح قبل اغتيالها؟ فقالت:

– لرؤيتي؟ لكن لأي فكرة! ولأي هدف؟ فقال:

– إننا نجهل هذا الأمر، بالنسبة إلى التليفون وفقًا لك تليفونك كان معطلا؟ ومكتب البريد يقول العكس. وقالت:

– مكتب البريد يقول أي شيء، فعندما أدرت رقمي فالهاتف الآخر لم يرن كان مشغولا، لكن كان هناك صوت قرقرة ماء غريب، باختصار ذهبت إلى الكبينة. وقال:

– آسف على إزعاجك وتعطيلك يا سيدتي "ووترهاوس"، لكن كل شيء يحمل على اعتقاد أن هذه الفتاة الشابة جاءت لزيارة شخص ما من الـ "كريسنت" في المناطق المجاورة. وقالت:

– سوف تذهب إذن لتسأل كل أشخاص الـ "كريسنت" على التتابع؟ وبعد أن نظر إلى ساعته وجد المفتش أنه لا زال لديه الوقت لكي يذهب ليقلق قليلا الأشخاص العاملين بوكالة "كافنديش"، وعند دخوله وقفت إحدى المستخدمات وقالت:

– سيدي المفتش "هاردكسل"؟ الآنسة "مارتندال" تنتظرك. وأدخلته في مكتب

المديرة حيث هاجمته الآنسة "مارتندال" على الفور قائلة :

- إنه لشيء مشين يا سيدي المفتش، مشين تماماً، يجب عليك أن تبين حقيقة الأمر، ولا يجب أن يحدث تباطؤ، وعلى الفور، فما هي مهمة البوليس سوى حمايتنا؟ حسن، قم بواجبك، فأنا وبناتي نطلب الحماية وسأحصل على ذلك. فقال "هاردكسل" :

- بالتأكيد يا آنسة "مارتندال" . . . وقالت:

- ضحيتان من بين بناتي هل تسمعني؟ ولا يوجد ظل شك في أننا نتعامل مع مهووس، أحد الأشخاص الذين يتصفون بهذه الصفة - كيف نسمي ذلك؟ - ملازم لفتيات الآلة الكاتبة، ووكالتنا مقصودة بخطة معينة، فأولا "شيلا" التي بعد مناورة وحشية وجدت نفسها أمام جثة، وذلك لكي تفقد هذه الفتاة الشابة الحساسة اتزانها العقلي، والآن ها هم يغتالون هذه الفتاة الصغيرة الشجاعة المسالمة وفي تليفون عمومي، فمرة أخرى يا سيدي المفتش إني أطلب منك أن تتخذ ما هو ضروري. فقال:

- بالتأكيد يا آنسة "مارتندال" ، فتلك هي أمنيتي الحميمة، وإذا كنت تريْنني هنا فذلك لأني آمل أنك تستطيعين مساعدتي . فقالت :

- أساعدك، أساعدك؟ لكن يا أستاذي المسكين، إذا كنت أعرف أقل شيء لكنت قد سعيت لأقوله لك! وكانت كأسد يزأر وعيناها يتطاير منهما الشرر، فقال:

- أمهلينا بعض الوقت يا آنسة "مارتندال" . وقالت :

- الوقت، الوقت، إن هذه الفتاة المسكينة التعسة قد قُتلت، وتقول إنك لا تتعجل أي شيء الآن، ألا تفهم إذن أن إحدى الفتيات الأخريات يمكن أن تُقتل! فقال:

- لا يا آنسة "مارتندال" ، لم نصل إلى هذا الحد! لكن قولي لي، ألم يبدُ على "إدنا" أنها كانت مشغولة وقلقة في الفترة الأخيرة؟ ألم تأت إليك لتطلب نصيحة؟ وقالت:

- أوه! لا، ولا أعتقد أنه في أية حالة كانت ستطلب معونتي، لكن أي متاعب يمكن أن تحل عليها؟ إن هذا السؤال على وجه التحديد هو الذي يطرحه المفتش "هاردكسل" على نفسه، وفهم أنه سيكون دون شك أملا لا فائدة منه أن يأمل في الحصول على إجابة من الآنسة "مارتندال" . فقال:

- هل يمكنني أن أتحدث إلى مستخدماتك؟ فإذا كانت هناك فرصة قليلة أن تكون

"إدنا" قد وثقت بك، فربما تكون قد وثقت بزميلاتها بإرادتها ؟ وقالت الآنسة "مارتندال" :

– يُحتمل، فهؤلاء الفتيات يقضين وقتهن في الثرثرة، وما إن يُسمع صوت خطواتي في الممر حتى تبدأ ماكيناتهن في الحال في الطقطقة، وماذا فعلن حتى هذا الوقت؟ لا شيء سوى الثرثرة. (ثم استعادت هدوءها) وفي هذا الوقت كانت ثلاث فتيات فقط يعملن بالمكتب، والأخريات كان لديهن مواعيد في الخارج، ولكن إذا كنت ترغب فإني أستطيع أن أقول لك أسماءهن وعناوينهن. وقال :

– أشكرك يا آنسة "مارتندال" . وقالت :

– ربما يكون من الأفضل أن تتحدث إليهن وحدك، فحضوري قد يخيفهن. ونادت السيدة "مارتندال" :

– يا آنساتي، السيد المفتش يرغب في أن يتحدث معكن، تستطعن إذن أن تتوقفن عن العمل، وقلن له كل ما يمكن أن يساعده على اكتشاف اغتيال "إدنا برنت" . واتجهت تجاه المفتش ثلاثة وجوه لشابات مندهشات، وفحصها بنظرة من عينيه بطريقة سطحية ولكنها كانت كافية لمعرفة المادة الإنسانية التي سيتعامل معها. هذه الشقراء السمينة التي ترتدي نظارة – شجاعة لكن غبية، وهذه السمراء اللاذعة والتي نحكم عليها من تسريحة شعرها يجب أن تكون قد عبرت زوبعة، فعيناها متفحصتان، لكن يحتمل أن تكون قد أُضرت بذاكرة خيالية جداً. أما الثالثة فطائشة من النوع المرح ويجب أن تكون لها دائماً نفس وجهة نظر الشخص الأخير الذي تحدثت معه، وبهدوء عطوف شرح لهن فقال :

– أعتقد أنكن كلكن تعرفن ما حدث لزميلتكن البائسة "إدنا برنت" ؟ فهزت الفتيات الثلاث رؤوسهن بـ"نعم" . فقال :

– وبالمناسبة كيف عرفتن؟ فاتفق الثلاث بالنظر ويبدو أن "جانيت" الشقراء هي التي تم اختيارها، فقالت شارحة :

– "إدنا" لم تعد إلى عملها في الثانية بعد الظهر كالعادة. وبدأت "مورين" السمراء حديثها فقالت :

– الوحش كانت ذا مزاج لا يُحتمل. ثم عادت فقالت :

ـ أقصد الآنسة "مارتندال". وقهقهت الفتاة الثالثة وقالت:

ـ إنه لقبها. وقالت "مورين":

ـ إنها طماعة حقيقة، وهي ترتمي حقيقة على عنقك، وبعد أن سألتنا عما إذا كانت "إدنا" لم تخبرنا، فقد تذمرت وقالت: "كان يمكن على الأقل أن تتأسف". وقالت الشقراء:

ـ أنا أجبتها أنها كانت معنا في الجلسة، ولكنها اختفت بعد الجلسة دون أن نعرف أين. وقالت "مورين":

ـ اقترحت عليها أن تأتي لتتغدى معنا، ولكنها بدت مهمومة وقالت لنا إنه ليس لديها وقت وستشتري فقط ساندوتشًا لتأكله في المكتب. فقال "هاردكسل":

ـ إذن، كانت لديها النية أن تعود لتعمل؟ فقالت "مورين":

ـ أوه! بالتأكيد، ليس لدينا الاختيار نحن الأخريات. وقال:

ـ ألم تبدُ لأي واحدة منكن متغيرة في خلال هذه الأيام؟ ومضطربة كما لو كانت مغمومة على سبيل المثال؟ ألم تقل لكُنَّ أيًا من أسرارها؟ أرجوكن إذا عرفتن أي شيء لا تترددن في أن تقلْنه لي. فصرخت "مورين":

ـ كانت تقلق وتضطرب من كل شيء ومن لا شيء، وكان ذهنها مضطربًا، وترتكب حماقات، وتتأمل ببطء، هكذا! وقالت الفتاة ذات التفكير الشارد:

ـ يحدث لها غالبًا العديد من المغامرات: هل تتذكر كعب حذائها المدبب الذي كسرته يوم الجريمة؟ وقال "هاردكسل":

ـ نعم. وكان يتخيل "إدنا" وهي تتأمل بحزن الحذاء الذي تمسك به في يدها. وأعلنت "جانيت" أمرًا خطيرًا جدًا:

ـ في الساعة الثانية من بعد هذا الظهر اعتقدت أن "إدنا" لم تعُد، وأتاني على الفور هاجس بأنه قد حدث لها شيء ما. ونظر إليها "هاردكسل" نظرة كريهة مقززة إذ إنه لا يُعجب بالناس الذين يريدون أن تكون لهم قيمة بعد الحادث، وكان مقتنعًا أنها تتباهى، وقد كان من المحتمل تمامًا أن تصرخ وتقول: "أوه! "إدنا" ستقطَّع إربًا إربًا بواسطة الوحش عند عودتها! وقال:

– متى عرفتن الخبر؟ ونظرن إلى بعضهن ، وبعد عبوس مذنب أعلنت الفتاة المرحة وهي تتوجه نحو باب المديرة:

– حسنًا... أوه.. لقد هربت لمدة دقيقتين عند الحلواني لأبحث عن جاتوه لأحضره إلى المنزل؛ لأنه وفي الساعة التي نخرج فيها من المكتب تكون كل قطع الجاتوه قد تم بيعها. وعندما دخلت في المحل سألتني التاجرة: "هل تعمل لديكن حقيقة أيتها المرأة الولود؟" وسألتها : "من هي؟" فأجابت: "الفتاة التي وجدناها مقتولة في كبينة التليفون" وكانت صدمة غريبة! وجريت لأقول للأخريات. واتفقنا أخيراً أن نذهب لنبحث عن الآنسة "مارتندال" عندما ظهرت فجأة من مكتبها وقالت: يا آنساتي ماذا يحدث؟ إني لا أسمع صوت آلاتكن. واستطردت الفتاة الشقراء وقالت:

– قلت لها هذا ليس ذنبنا يا آنسة "مارتندال"، لكن حدث منذ فترة وجيزة حادث مخيف لـ "إدنا". وقال:

– وماذا أجابت؟ فقالت الفتاة السمراء:

– أولاً، لم تستطع أن تصدق، وكررت: "غير معقول! إنها شائعات" واستنتجت أنها "إدنا"... ثم دخلت في مكتبها واتصلت بالبوليس الذي أكد لها ذلك. وقالت "جانيت" وهي تحلم:

– إني لا أشرح لنفسي على الإطلاق لماذا قُتلت "إدنا"! وقالت الفتاة السمراء:

– أليس لأن لها صديقًا صغيراً؟ وثبتن كلهن نظراتهن في "هاردكسل" مع أمل كما لو كان يمسك بالحل، وقال في نفسه بحزن إنه لم يحصل على شيء ما دامت توجد فتاة من الفتيات الأخريات تعرف المزيد! دون حساب "شيلا ويب" وقال:

– "شيلا" و "إدنا" هل كانتا صديقتين حميمتين؟ وتبادلن نظرات غامضة ثم قلن:

– لا، ليس كثيراً!

– والآنسة "ويب"، أين توجد بالمناسبة؟ قلن:

– في فندق "كورلو"، فهي تعمل مع الأستاذ "بوردي".

الفصل التاسع عشر

على الهاتف صوت مغتاظ للأستاذ "بوردي" الذي انزعج وسط إملائه وقال:

– من؟ ماذا؟ هو أسفل، أليس كذلك؟ ألا يمكن أن يكرر المرور غداً؟ آه! حسن دعوه يصعد. واستطرد وهو منزعج:

– إننا نقاطَع باستمرار، كيف نستطيع أن نعمل بجدية في هذه الظروف! (وألقى نظرة خفيّة إلى "شيلا") وقال:

– أين نحن يا آنسة "ويب"؟ وكانت "شيلا" على وشك أن تجيب عندما سمعت طرقًا على الباب. لا، دون عقوبة، وكان الأستاذ يظهر تعرجات تاريخية يرجع تاريخها إلى حوالي ثلاثة آلاف سنة. وقال بتبرم:

– نعم ادخل! ما هذا؟ فقال "هاردكسل":

– إني آسف بشدة يا أستاذ لأني كنت مجبراً على إزعاجك، مساء الخير يا آنسة "ويب". وكانت "شيلا" ككتلة موضوعة، فوقفت وفي عينيها بريق من القلق أو أن "هاردكسل" قد تخيل ذلك؟ وسأله الأستاذ بشدة:

– حسن، ماذا تريد؟ فقال "هاردكسل":

– إني المفتش "هاردكسل" كما تستطيع أن تؤكد لك الآنسة "ويب". فقال الأستاذ:

– أعرف. أعرف. وقال "هاردكسل":

– أرغب في أن تكون لي مقابلة معها. فقال الأستاذ:

– هل هذا أمر مستعجل؟ لقد حدث ذلك في وقت غير مناسب، فقد كنا عند نقطة حرجة خاصة، وإني أترك الحرية للآنسة "ويب" خلال ربع الساعة، وعلى أية حال لنقل حوالي نصف الساعة، أوه! يا إلهي! إنها الساعة السادسة الآن. وكرر "هاردكسل" بلهجة صارمة:

– إني آسف بشدة يا أستاذ "بوردي". وقال الأستاذ:

– آه! حسن، حسن جداً، ما هذا؟ حادث سيارة دون شك؟ فقال "هاردكسل":

– أكثر جسامة من ذلك. فقال الأستاذ:

– آه! حسن، حسن، ومع ذلك ليس لديك سيارة يا صغيرتي – ونظر إلى "شيلا" وهي تبدو غائبة – فهذا حقيقي وقد لاحظته الآن، فلكي تجيئي إلى هنا تستقلين الحافلة، وبعد ذلك ماذا إذن يا سيدي المفتش؟ فقال "هاردكسل":

– إنه بخصوص فتاة شابة تدعى "إدنا برنت". قال ذلك وهو يدير وجهه تجاه "شيلا" ويقول:

– هل أنت على علم؟

– أعتقد. وحدقت إليه بعينيها الجميلتين اللتين تذكرانه بشخص ما، وقطبت جبينها وقالت:

– أوه! نعم إني أعرفها جيداً، لماذا؟ فقال "هاردكسل":

– هل ما زلت لا تعرفين؟ إني أفهم، أين تناولتِ طعام الغداء يا آنسة "ويب"؟ واحمرت خجلا وقالت:

– أنت شغوف حقيقة.. مع صديق في مطعم صيني. وقال:

– وبعد ذلك رجعت إلى المكتب؟ فقالت:

– إلى الوكالة؟ نعم لقد ذهبت إلى هناك وقالوا لي إن الأستاذ "بوردي" ينتظرني في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر. ووافق الأستاذ على ذلك بهزة من رأسه وقال:

– بالضبط، ومنذ ذلك الحين ونحن نعمل. فقال "هاردكسل":

– إذن، أنت تجهلين ما حدث لـ "إدنا برنت"؟ فسألت "شيلا" بعصبية:

– هل حدث لها شيء ما؟ ماذا تريد أن تقول؟ هل حدث لها حادث... هل دهست؟ فقال "هاردكسل":

– نعم، لقد حدث لها في الواقع شيء ما. ثم فجأة وبتعمد قال:

– في حوالي الثانية عشرة والنصف بعد الظهر تم خنقها في كبينة التليفون. وصاح الأستاذ متعجباً وقد اهتم أخيراً:

– كبينة التليفون؟! و "شيلا ويب" لم تتكلم وفمها مفتوح، وحدقتا عينيها متسعتان ومثبتتان على "هاردكسل". وفكر "هاردكسل" قائلا:

– إما أنك عرفت لتوك أو إذن لديك موهبة جيدة للتمثيل! وكرر الأستاذ:

– يا إلهي! يا إلهي! مختنوقة في كبينة التليفون! ولكن هذا يبدو لي شيئًا غير مصدق، غير مصدق حقيقة، أي مكان ارتكاب الجريمة، ولم تأتِ لي مطلقًا فكرة حالة مشابهة بالتأكيد، وأخيراً الفتاة المسكينة.. أيُّ تعاسة مخيفة! وقالت "شيلا" :

– "إدنا" مقتولة! لكن لماذا؟! وقال "هاردكسل" :

– هل تعرفين يا آنسة أن أول أمس كانت "إدنا" ترغب في رؤيتك بشدة؟ وأنها ذهبت إلى خالتك وانتظرتك هناك لفترة طويلة؟ وقال الأستاذ بصوت منكسر ومتواضع:

– إنها كذلك غلطتي، دائمًا غلطتي، إني أتذكر أول أمس لقد أبقيت الآنسة "ويب" حتى وقت متأخر جداً، وإني آسف لذلك، فذكريني دائمًا بالساعة يا صغيرتي بكل صدق. وقالت "شيلا" :

– لقد قالت لي خالتي ذلك، لكن لم أعره أي اهتمام، هل كان من الواجب أن أتنبه لذلك؟ وهل "إدنا" كانت عندها هموم كثيرة؟ وقال المفتش:

– ونحن نجهل ذلك ولن نعرفه أبداً دون شك إلا إذا كنت ستلقين الضوء على ذلك. فقالت:

– أنا؟ وكيف أستطيع؟ فقال:

– يمكن أن يكون لديك فكرة عما كانت "إدنا" تتمسك بأن تقوله لك سرًّا. قالت:

– أبداً، فقال:

– ألم تنبس أمامك ببنت شفة بالمكتب ولم تقم بتلميح معين عن همومها؟ قالت:

– إطلاقا، ولم تستطع مع ذلك... وكنت غائبة عن المكتب أمس، وقد تم إرسالي طوال اليوم عند أحد كتابنا، وكذلك ليس لديّ أي فكرة عما تريد أن تقوله لي، وأريد أن أعرف كذلك لماذا جاءت حتى عند خالتي. قال:

– يقال إنها فضلت ألاّ تكلمك عن ذلك في المكتب أمام الأخريات، عن شيء ما تريد أن تحتفظ به سرًّا بينكما أنتما الاثنتين؟ هل هذا هو رأيك؟ فقالت بعصبية:

– شيء قليل الاحتمال وليس لديّ انطباع عنه. فقال:

– إذن يا آنسة "ويب" لا تستطيعين أن تساعدينا؟ قالت:

– لا، إني آسفة وحزينة جداً من أجل "إدنا" المسكينة، لكن بصراحة لا أعرف أي شيء

يمكن أن يهمكما. قال الأستاذ:

- أنت ترتعشين يا صغيرتي، أوه! إني أعتقد حقيقة أن كوبًا من الشراب يفرض نفسه.

الفصل العشرون

بعد وصولي إلى "لندن" ذهبت مباشرة إلى "بيك"، وشهر مباشرة سيجارته تجاهي، وقال:

- بعد كل شيء قصتك عن الهلال غبية. قلت:

- على أية حال، لقد آثرت الحديث في مسألة شائكة، أليس كذلك؟ قال:

- دون أن أذهب إلى هناك أنا أعرف أن مهندسنا في المنزل رقم 62 بشارع "ويلبراهام كريسنت" ليس خاليًا من الأمر كما يبدو، فمنذ خمسة أسابيع رحل مباشرة في رحلة إلى "رومانيا"، وهكذا يمكنك أن تنشط، ولقد حصلت من أجلك على كل الموافقات الضرورية وجواز سفر صغير جميل جديد تمامًا، وعندما نعطيك أوراقك سوف نبين لك اسم مراسلك، هيا احصل على المستندات الضرورية عمن يسمى السيد "رامساي".

وأضاف وهو يراقبني عبر سحابة من الدخان:

- أهذا لا يبدو أنه يسرك؟

رحلت الطائرة في العاشرة مساءً، وذهبت قبلها لزيارة "هركيل بوارو" الذي كان يتذوق هذه المرة عصير الكشمشة ومنحني إياه في الحال ورفضته بطريقة طبيعية، وأحضر لي "جورج" الشراب الخاص بي، ولم يتغير أي شيء في عاداتنا، وقال "بوارو":

- إنك تبدو حزينًا. فقلت:

- لا، إني سأسافر في رحلة، وأنت كيف تسير أعمالك الأدبية؟ وقال "بوارو":

- لقد قرأت الملاحظات التي تركتها لي باهتمام كبير. وقلت:

- الحقيقة أنها ليس فيها شيء مهم، كلها محادثات مع الجيران وذهبت مع الريح! وقال:

- خطأ عقاري! على أية حال اثنان من الأشخاص الذين استجوبتهم قالوا أشياء مضيئة.

– ما هي؟ وأيهما؟ وأرجعني "بوارو" بطريقة مغيظة جداً إلى ملاحظاتي وقال:

– اقرأها بعناية، وستفهم إذن أن هذا الأمر ظاهر للعيان، والخطوة التي يجب اتباعها هي أن تستمر في الذهاب للحديث مع جيران جدد. فقلت:

– لا يوجد جيران آخرون. فقال:

– نعم، يوجد دائماً شخص ما رأى شيئاً ما، إنها نظريتي. وقلت:

– لكن هذه النظرية شاردة في هذه المشكلة، ومع ذلك عندي أخبار لأعطيك إياها، ألا وهي: قتيل آخر. فقال:

– حقيقة؟ بهذه السرعة؟ هذا مثير للاهتمام. وقصصت عليه كل شيء، وطرح عليّ العديد من الأسئلة وطلب كل التفاصيل، وتحدثت معه عن بطاقة البريد التي أعطيتها لـ"هاردكسل" والمدوَّن بها: "تذكّر 4.13 أو (الرابعة وثلاث عشرة دقيقة بعد الظهر) وكرر:

– نعم هذا أحسن من الموضوع نفسه. ونظرت إليه مندهشاً.

– ماذا تريد أن تقول؟ وانخفضت رموش "بوارو" وقال:

– ما ينقص على هذا الكارت هو بصمة الأصبع المدمي. وسألته وأنا قلق:

– ما هي خلفية فكرتك؟ فقال:

– كل شيء سيتضح، وكما هو الحال دائماً لا يمكن للقاتل أن يدع الأحداث تجري. وقلت:

– من هو القاتل؟ لكن "بوارو" كان لئيماً جداً ولم يجب عن هذا السؤال. فقال:

– في أثناء غيابك هل تسمح لي بإجراء تحقيق صغير؟ قلت:

– بمعنى؟ فقال:

– أن أكتب إلى أحد أصدقائي من المحامين القدماء السيد "إندرباي" حتى ينغمس في عقود زواج "سومرست هاوس"، وكذلك إرسال بعض البرقيات إلى الخارج. فقلت:

– إني أتساءل عمّا إذا كان ذلك في اتفاقياتنا، يجب عليك فقط أن تظل هنا مرتاحاً لتفكر. فقال:

– هذا كل ما أعمل، ولكني أُفضّل مع ذلك أن أحكم على النتائج التي حصلت

عليها، وهذه ليست المعلومات التي أريدها ولكنها تحقيق بسيط. وقلت:

– "بوارو"، أنت تتباهى وتخدعني! فأنا لا أعتقد أنك اكتشفت أي شيء، فلا أحد يعلم حتى الآن من هو الضحية. فقال:

– أنا أعرف. فقلت:

– ما اسمه؟ فقال:

– إني أجهله، ولكن هذا غير مهم، أفهمني، أنا لا أعرف من هو، لكن ما عمله؟ فقلت:

– نصاب؟ وقال "بوارو" وجفونه تقفل من جديد:

– مخبر خاص؟ وفتح "بوارو" عينيه مرة ثانية وقال:

– ومثل المرة الأخيرة اسمح لي باستشهاد قصير قبل أن أصمت. وبأقصى جدية ممكنة قال لي:

– صغير، صغير، صغير... تعال لتقتل.

الفصل الحادي والعشرون

على نتيجة مكتبه قرأ المفتش "هاردكسل": 20 أيلول (سبتمبر). ولقد مرت عشرة أيام فقط على حادث القتل، ولم يتقدم كما كان يأمل لأنه كان دائمًا يصطدم بهذه الصعوبة الأصلية: تحديد شخصية الجثة. فظل الرجل الميت هو الرجل الغامض، ومع ذلك فأي فيض من النداءات التليفونية والرسائل انسكب بعد ظهور صوره في الصحافة مكتوب أسفلها: هل تعرف هذا الرجل؟ وما زال "هاردكسل" يتنهد، فقد كانت زوجاته وأخواته لا تعد، وكذلك كل الذين اعتقدوا أنهم قابلوه في "لنكولنشاير"، والـ"ديفون" في "لندن" وفي المترو، وفي الحافلة، أو تحت مظلة رصيف، أو في ركن الشارع أو عند الخروج من السينما وهو يبحث عن الاختفاء، لكن في هذا اليوم شعر المفتش بأنه أكثر تفاؤلا وهو يتأمل مرة أخرى الرسالة الموضوعة على مكتبه. رسالة لم تكن تخريفًا أو تأكيداً حقيقيًا، ولكنها تعلمه ببساطة أن كاتبتها السيدة "ريفال" تعتقد أنه يمكن أن

يكون الشخص المجهول هو زوجها الذي انفصلت عنه منذ سنوات.

وعندما رآها تدخل وقف المفتش لكي يصافحها، وقدر المفتش أنها في الخمسين من عمرها، لكن من بعيد بعيد جداً كنا نعطيها ثلاثين، وطلت وجهها بالمساحيق على وجه السرعة، وشعرها قاتم مخضب بالحنّاء، ومتوسطة الطول، ودون قبعة، مع معطف غامق. واعتقد أنها متفائلة تعتمد على تجربتها للقيمة الأخلاقية للناس وبلا شك لا تخنقها الوساوس، ولكنها سهلة الحياة، وقال المفتش:

– إني سعيد لرؤيتك يا سيدتي "**ريفال**"، سيمكنك مساعدتي على ما أعتقد. وتأسفت تقريباً وقالت:

– إني لا أستطيع أن أؤكد أي شيء، لكن عندما رأيت الصور على صفحات الجرائد وجدت أنها تشبه "هاري" وبدرجة ملحوظة، وأود أن أستطيع التأكد، ولكني لم أره منذ فترة طويلة، وأعتقد أني قلت لك تسع سنوات في رسالتي، ولكنها أكثر من ذلك حوالي خمسة عشر عاماً أو أقل. قال لها:

– ما مهنة زوجك يا سيدتي "**ريفال**"؟ فقالت:

– سمسار تأمينات. وتوقفت وأضافت:

– على الأقل وفقاً لما كان يقصه عليّ. فنظر إليها المفتش نظرة حادة وقال:

– وقد اكتشفت أنها كانت مهنة مزيفة؟ فقالت:

– لا، ليس بالضبط... ليس في هذه الفترة، فأنا الآن أطرح أسئلة، هل تفهمني؟ فإنها حجة ممتازة لترك المنزل في أغلب الأحيان. فقال:

– وهكذا فإن زوجك لم يكن دائماً بالمنزل يا سيدتي "**ريفال**"؟ فقالت:

– لا، لكن في البداية لم يكن ليهمني ذلك... فقال:

– وبعد ذلك؟ لم تجب ثم قالت:

– من الأفضل أن ننتهي في الحال، وبعد كل ذلك إذا لم يكن "هاري"... وشعر بصوتها قلقاً، ويمكن أن تكون متأثرة. فيم كانت تفكر حقيقة؟ فقال:

– هذا حسن، ومن الأحسن القيام بهذا الشيء في أسرع ما يمكن، فهيا بنا. وقادها إلى السيارة التي كانت تنتظرهما بالخارج، وكانت عصبية بالتأكيد، لكن ليس أكثر أو أقل

من كل الذين كان قد قادهم إلى هناك قبلها، وقال لها بعض الجمل ليطمئنها كالعادة:

– لا تقلقي، فهذا الأمر ليس مخيفًا، ولن يستغرق أكثر من دقيقتين على الأكثر. وتم سحب الدرج، ورفع المستخدم الغطاء، وظلت بالمكان لبضع ثوانٍ، ونفس قصير، ثم مع تنهد متشنج استدارت فجاة تجاه المفتش. وقالت:

– إنه "هاري"، نعم إنه هو بالتأكيد، ولقد صار عجوزاً ولكنه لم يتغير تمامًا، مع إحساسه... الرقيق، ولقد كان رجلا طيبًا – أنت تعرف – مميزًا جداً، ولذلك تركهن يخدعنه دون أدنى شك. وسألها "هاردكسل" بصوت رقيق شفوق:

– من هن اللاتي تركهن يخدعنه يا سيدتي "ريفال"؟ فقالت:

– النساء، دائماً النساء، فلقد كان يمضي معهن أحسن أوقات حياته. فقال:

– آه! نعم، وهل كنت تعلمين بذلك؟ قالت:

– أوه! إني أشك في ذلك، فأنتم تعرفون أن غيابه كان متكرراً، وكنت أعرف أنهم كانوا الرجال، وفكرت جيداً في أنه توجد في حياته نساء، لكن لم أتخيل مطلقًا أنه يعتبرهن مكسبًا لقوته اليومي. قال:

– وكان ذلك؟ قالت:

– أعتقد أن الأمر كان كذلك. قال:

– وكيف تيقنتِ ذلك؟ ورفعت كتفيها وقالت:

– يومًا ما عندما عاد من أحد تنقلاته من "نيوكاسل" وفقًا له – وعلى أية حال من أي مكان! – أعلن لي أنه يجب أن يهرب بأسرع ما يمكن، وأنه غُبن ومشروعه قد فشل بسبب امرأة وضعها في ورطة كما قال لي. وبدأت الأخطاء، وعندئذ طرحت عليه بعض الأسئلة وقد شرح موقفه دون صعوبة معتقداً دون شك أني أعرف عن ذلك الكثير، وكن يسقطن بين ذراعيه مثلي، وبسهولة يهدي إليهن الخاتم ثم يتم الزواج، وعندئذ يقترح عليهن أن ينقلن ممتلكاتهن إليه، وفي العادة كن يثقن به بلا تردد. فقال:

– وهل حاول معكِ؟ فقالت:

– نعم، ولكني لم أدعه يفعل ذلك. فقال:

– لماذا؟ ألم تثقي به؟ فقالت:

– لست من النوع الذي يثق ثقة عمياء. قال:

– وزوجك، ألم يكن يخشى أن يرحل مع البوليس؟ وقالت السيدة "ريفال":

– لم يكن هناك خطر، والنساء لم يردن أن يكن مغفلات، ولكن هذه المرة على ما يبدو حدثت الأشياء بطريقة مختلفة، فقد كانت امرأة أو فتاة شابة متعلمة، ورفضت أن تنقاد في الباخرة نفسها مع النساء الأخريات. فقال:

– وهل كانت تنتظر طفلا؟ فقالت:

– نعم. قال:

– وهل حدث ذلك من قبل؟ فقالت بصوت مر:

– نعم، أنا أعتقد. واستطرد "هاردكسل" بصوت رقيق:

– أنتِ تحبينه يا سيدتي "ريفال"؟ فقالت:

– وهل أعرف؟ يُحتمل ودون ذلك لما كنت قد تزوجته. فقال:

– هكذا يا سيدتي "ريفال" – أنا آسف مقدمًا لسؤالي – كنتما إذن متزوجين؟ فقالت بصراحة:

– كيف تأكدت إذن من ذلك؟ نعم كنا متزوجين تمامًا وحدث هذا الزواج في الكنيسة،ولكن كيف أعرف أنه لم يتزوج بواحدة أخرى في مكان آخر وتحت اسم مستعار على سبيل المثال؟ فبالنسبة إليّ كان اسمه "كاسلتون"، ولكن أشك في أن يكون هو اسمه الحقيقي. فقال:

– "هاري كاسلتون"؟ هل هذا هو الاسم بالضبط؟ فقالت:

– نعم. قال:

– هل كانت له علامة مميزة؟ ندبة على سبيل المثال؟ وقالت برأسها لا. فقال:

– أنت تقولين أنه لم يعطكِ أي خبر منذ خمسة عشر عامًا؟ قالت:

– لم يجب عليه أن يعرف أين أسكن، فبعد اختفائه توقفت عن أن أسمي نفسي "كاسلتون" لكي آخذ اسمي القديم "مارلينا ريفال". فقال:

– "مارلينا"؟ هل هو اسم مستعار؟ وأذعنت بذلك، وظهرت ضحكة خفيفة على شفتيها، وقالت:

– إني أنا التي اخترعته، اسم مبتكر؟ واسمي الحقيقي هو "فلوسّي" ، "فلوسّي جاب" وهذا الاسم تنقصه الرومانسية، أليس كذلك؟ فقال:

– وماذا تفعلين الآن يا سيدتي "ريفال" دائمًا بالمسرح؟ فقالت السيدة "ريفال" دون حرارة:

– من وقت إلى آخر عندما يقدم لي. وقال "هاردكسل" بلياقة وكياسة:

– آه! حسنًا، ما زال هناك سؤال بسيط لأطرحه عليك يا سيدتي "ريفال" (وأشار إلى الحاجب) وقال:

– أحضر لي الساعات. وجاءت الساعات على منصة وهي مغطاة بقطعة من القماش، وبحركة جافة كشفها "هاردكسل" أمام عيني السيدة "ريفال" اللتين فحصتاها بطريقة طبيعية جدًا باهتمام وسعادة. وقالت:

– يا لها من جميلة! وأشارت بإصبعها إلى الساعة القرمزية وأضافت:

– هذه تعجبني كثيرًا. فقال:

– هل تعرفين واحدة منها على الأقل؟ الا تذكرك بشيء؟ فقالت:

– من الصعب أن أجيب، لماذا؟ فقال:

– وإذا كانت مؤشرات الساعات تبين 4 h. 13 (الرابعة والثلاث عشرة دقيقة بعد الظهر). وضحكت السيدة "ريفال" ضحكة طبيعية وقالت:

– سأقول إن ساعة الشاي تقترب! وشعر "هاردكسل" بانه متعب وقال:

– حسنًا يا سيدتي "ريفال" ، نحن ممنونون جدًا، وبعد غد ستعاود المحكمة مناقشة القضية، فهل يقلقك كثيرًا أن تأتي وتشهدي على شخصية زوجك؟ فقالت:

– لا، لا إطلاقا. ووقفت وودعته، وبعد ذلك مباشرة وصل الرقيب "جريج" وقال متسائلا:

– شيء مهم؟ وقال المفتش:

– يقال ذلك، فالرجل يدعى "هاري كاسلتون" ويحتمل أن يكون اسمًا مزيفًا، فيجب أن نجري أبحاثًا عنه، ويبدو أن أكثر من سيدة تريد أن تنتقم منه.

الفصل الثاني والعشرون

قال "بوارو" :

– إذن ها نحن نعود مرة ثانية. وزحلق برقة علامة بين صفحات كتابه، وفي هذه المرة وضع فنجانًا من الشوكولاتة على المنضدة حيث كان يتكئ. أي ذوق كان له فيما يخص المشروبات! وشكراً لله لأنه لم يقدم لي أي مشروب. وقال:

– وهل نجحت؟ وقلت ببطء:

– ما زلت لا أعرف أي شيء. فقال:

– آه! هل وصلتم إلى هذا التحليل؟! فقلت:

– لقد أنجزت مهمتي، لكن دون أن أجد الرجل، وأنا نفسي لا أعرف بالضبط ما يجب أن أبحث عنه، معلومات أو جثة؟ فقال:

– بالنسبة إلى الجثث فلقد تصفحت تقرير القضية في "كرودين" قتل مع سبق الإصرار (قتل عمد) بواسطة شخص أو عدة أشخاص غير معروفين، وأخيراً تم تسمية جثتك.ووافقت على ذلك قائلا :

– نعم، "هاري كاسلتون" . فقال:

– لقد تعرفت إليه امرأة، وأنت كنت في "كرودين" ؟ فقلت:

– ليس بعد، كنت أفكر في أن أذهب إلى هناك غداً، وعلى أية حال عند عودتي سأقص عليك كل ما قاله لي "هاردكسل" عن السيدة "مارلينا ريفال" هذه، وأنا أعد بذلك. فرفض "بوارو" بحركة منه وقال:

– لا داعي إلى ذلك. فقلت:

– بشرفي أنت تعرف كل شيء من قبل أن أقول لك شيئًا! فقال:

– لا، ولكنها لا تهمني. فقلت:

– كيف؟ لكن لماذا؟ إني لا أخالفك. فقال:

– لا يجب أن نهتم سوى بالنقاط الأساسية، فعلى النقيض من ذلك حدثني عن "إدنا" المقتولة في كبينة التليفون. وقلت:

– لقد قلت لك كل شيء عن هذه الفتاة! فانتهرني "بوارو" محتدًا وهو يقول:

– أنت لا تعرف الكثير عنها، سوى أنها كانت فتاة صغيرة لطيفة مسكينة كسرت كعب حذائها المدبب في شبكة للقاذورات! وبالمناسبة هذه الشبكة أين كانت موضوعة؟ فقلت:

– كيف أستطيع أن أخمن ذلك يا "بوارو"؟ فقال:

– بكل بساطة بطرح سؤال عن ذلك، فللاستعلام لا توجد سوى وسيلة واحدة، أن تطرح أسئلة وأن تكون أسئلة جيدة. قلت:

– في هذه الحالة يمكن أن يكون من الأفضل أن تجيء إلى "كرودين" لتطرح هذه الأسئلة بنفسك. قلت ذلك وأنا مستاء، فقال:

– يستحيل في هذا الوقت، ففي الأسبوع القادم سيكون هناك بيع لمخطوطات خاصة مهمة... فقلت:

– دائمًا هوسك في التجميع؟ فقال:

– نعم، وأكثر من أي وقت مضى، فلنأخذ كمثال كتب "جون ديكسون كار" أو "كارتر ديكسون" كما يريد أن يُسمى في أغلب الأحيان ودون أن أترك له الوقت ليعود إلى موضوعه المفضل، اختفيتُ بحجة ميعاد طارئ، ولم يكن لي مزاج لأسمعه يتحدث عن أساتذة الرواية البوليسية القدماء، وجلست على درجات سلم "هاردكسل"، وعندما رأيته يصل وقفت في الظلام، فقال "هاردكسل":

– سلام عليك يا "كولن"، هانت أخيرًا؟ سقطت من السماء مرة أخرى! وأخذ مفاتيحه وفتح لي وأدخلني في حجرة الاستقبال حيث أعطاني شرابا في الحال، وقال "هاردكسل":

– القضية تحركت أخيرًا، فلقد حددنا شخصية الجثة. فقلت:

– إني أعرف، فلقد تصفحت الجرائد، والساعات هل من جديد بشأنها؟ قال:

– بالنسبة إلى السيدة "ريفال"، هي لا تعني شيئًا وأعتقد أنها صريحة، ولكننا نعلم الآن من أين تأتي، من سوق "بورتوبللو" أنت تعرف ماذا تشبه، أيام السبوت، فقد اشترتها سيدة أمريكية من أحد تجار السلع المستعملة، لكن من وجهة نظري هذا التاجر

يعرف مثلي.

- وساعة الـ "روزماري" التي اختفت؟ قال "هاردكسل":

- لا يوجد أي إعلان عن هذا الموضوع، وبالنسبة إليّ فهمت بالضبط ماذا يعني ذلك.

الفصل الثالث والعشرون

وفي اليوم التالي في العاشرة صباحًا اتصلت بوكالة "كافنديش" لأطلب منهم أن يرسلوا كاتبة اختزال وآلة كاتبة بحجة كتابة بعض الأوراق على الآلة الكاتبة، فهل الآنسة "شيلا ويب" جاهزة؟ وأحد أصدقائي أوصى بها إليّ على أنها ماهرة جدًا، واسمي السيد "وزرباي" على عنوان فندق "كلارندون" (ونلاحظ أنه كلما كانت الفنادق رثة الحال حملت أسماء ذات كلمات فخمة) ولحسن الحظ كانت "شيلا" متحللة من أي التزام في هذه اللحظة، وانتظرت أمام الأبواب التي تُحدث أصواتًا بالفندق وعندما رأيتها تقدمت أمامها وقلت لها معلنًا:

- خادمك السيد "دوجلاس وزرباي". فقالت:

- هل أنت الذي اتصلت بي بالتليفون؟ فقلت:

- أنا بنفسي. فقالت:

- لكن كيف تجرأت على ذلك؟ وبدا عليها أنها صدمت صدمة مقبولة. فقلت:

- وما الذي يمنعني؟ إني مستعد لدفع حساب خدماتك للوكالة، ولا يهمهم أين تقضين ساعاتك الثمينة ذات التعريفة المرتفعة الثمن، سواء لكي تحصلي على مهن مزعجة تحت إملائي من تلك التي تبدأ دائمًا: "عزيزي السيد / إيماء إلى تعليماتكم المشرفة بخصوص..." أو نحن نعبر الشارع لكي نذهب لنجلس في قهوة "بتركَبْ كافيه"؟ هيا تعاليْ نشرب قهوة عديمة الطعم في إطار هادئ، وما إن أعطينا الأمر للنادلة وجلسنا على المنضدة، وأحدنا في مواجهة الآخر، ونظر أحدنا أخيرًا إلى الآخر. سألتها:

- هل كل شيء على ما يرام يا "شيلا"؟ فقالت:

- ماذا تريد أن تقول بقولك على ما يرام؟ ونظرت إلى عينيها ذواتي اللون الأزرق

والرموش السوداء. وقلت:

– قد عبرت لحظات قذرة؟ فقالت:

– نعم... لا... أخيراً، يمكن، كنت أعتقد أنك على سفر يا "كولن"؟ وقلت:

– هذا حقيقي لقد عدت. وقالت:

– لماذا؟ قلت:

– أنت تعرفين جيداً. فخفضت عينيها، وظلت صامتة طوال دقيقة كاملة ثم قالت:

– إنه يخيفني. فقلت:

– من هذا؟ وقالت:

– صديقك.. المفتش. إنه... إنه يعتقد أني أنا التي قتلت هذا الرجل وكذلك "إدنا"، فهو يفكر في أني أنا بنفسي ذهبت إلى هناك عمداً، وأن "إدنا" كانت تشك، وأنها عرفت صوتي في التليفون وقلت إني السيدة "بيبمارش". فقلت:

– وكان ذلك صوتك؟ قالت:

– لا! لم أكن أنا الذي يتحدث في التليفون. قلت:

– اسمعي يا "شيلا" أيًا كان ما تقولينه للآخرين يجب عليك أن تقولي لي الحقيقة. فقالت:

– أنت إذن لا تصدقني؟ فقلت:

– كل ذلك جميل جداً يا "شيلا"، ولكنك أخفيت عني شيئًا ما، وأود أن تثقي بي، وأيًا كان عملك يا "شيلا" سأكون أنا معك. وبشجاعة قلت:

– لماذا نشلت المنبه الصغير الذي يدعى "روزماري"؟! فقالت:

– ماذا؟ لكن من أجل أي سبب؟ فقلت:

– جيد، هذا هو سؤالي الذي أطرحه عليكِ. فقالت:

– أنا لم ألمسه. فقلت:

– بحجة أنك نسيت قُفَّازيك عدتِ إلى الشقة، حسنًا، في هذا اليوم الساخن من شهر أيلول (سبتمبر) فأنت لا تحملين قُفَّازين أنا أعرف ذلك، هيا اتفقنا؟ فدخلت ووضعت الساعة في جيبك، توقفي عن الكذب، أليس ذلك هو ما حدث؟ والتزمت الصمت

وقضمت فطيرتها وقالت وهي تتمتم بصوت خافت:

– تماما، إنه أنا، ولقد وضعت الساعة في حقيبتي ثم خرجت من جديد. وقلت:

– ومن أجل أي هدف؟ وقالت:

– بسبب الاسم، ألا وهو "روزماري"، فهو كذلك اسمي. فقلت:

– هل اسمك "روزماري" وليس "شيلا"؟ وقالت:

– "روزماري"، "شيلا" الاثنان. فقلت:

– ومن أجل هذا السبب الوحيد كُتب لقبك على هذه الساعة؟ ورأت أني غير مصدق، ولكنها لم تغير رأيها، وقالت لي:

– كنت قد فقدت عقلي. وهكذا كانت الفتاة التي كنت قد اخترتها، تلك التي رغبت في أن تصير على الدوام بالقرب مني، ولا يوجد أي إلماح إلى ذلك، فهي كاذبة وستظل دون شك تكذب على الدوام، وهذه هي طريقتي للصراع في حياتي، أن نكذب كما نتنفس، وهذا هو سلاح الطفل الذي ما زالت تستخدمه، ولكل منا عيوبه، وأنا كذلك لديَّ عيوب أخرى جسيمة، وقررت أن أهاجم، وهذا هو التكتيك الممكن. وقلت:

– هل كانت هذه الساعة ساعتك؟ هل كنت تمتلكينها؟ فاهتزت وقالت:

– من الذي قال لك هذا؟ فقلت:

– هيا، أخرجي ما في جعبتك. حينئذ أفرغت لي تاريخها بقصة مرتبكة متناقضة، ففي صباح يوم ما قبل الجريمة بأسبوع أخذت المنبه الخاص بها لكي تصلحه عند ساعاتي قريب من المكتب، ولكنها نسيته يمكن في الحافلة أو في مطعم حيث كانت قد ذهبت لتتناول ساندوتشًا كغداء، ولم تهتم بذلك كثيراً، فلم تكن الخسارة كبيرة لأن المنبه كان قديمًا ولا يعمل بطريقة جيدة، ومن الأفضل أن تشتري واحداً آخر، ثم أضافت:

– وعندما اكتشفت هذه الجثة رأيت المنبه الخاص بي فوق منضدة بالقرب من المدخنة وكانت أصابعي ملطّخة بالدم... ثم جاءت العمياء وفقدتُ عقلي... وكنت أخشى كثيراً من أن تمشي فوق الجثة، فنسيت كل شيء وهربت، وبعد ذلك بكثير وأنا أفكر في كل ذلك تذكرت أن السيدة "بيبمارش" قد قالت إنها لم تطلبني بالتليفون... إذن من؟

من الذي أحضرني؟ من الذي وضع ساعتي هناك... فاخترعت إذن قصة القُفّازين هذه... ووضعت المنبه في حقيبتي وهذا شيء أحمق، أليس كذلك؟ فقلت:

– أحمق تمامًا يا "شيلا"، وبالنسبة إلى بعض الأشياء أنت تفتقدين تمامًا التمييز السليم. قالت:

– ولكنكم تحاولون أن تجذبوا إليّ الشكوك، انظر بطاقة البريد هذه، فالشخص الذي أرسلها لي يجب أن يعرف أني أنا التي أخذت المنبه، انظر ما هو مكتوب عليها "أولد بالي" فالواقع يمكن أن والدي كان سفاحًا؟ فقلت لها:

– ماذا تعرفين عن والديك؟ فقالت:

– إنهما ماتا هما الاثنان في حادثة، وعلى الأقل لقد كررت لي خالتي ذلك، لكن لم تقصصْ عليّ إطلاقا أي شيء عنهما، مرة أو مرتان فقط ناقضت نفسها وهي تحكي ذكرياتها، ولهذا السبب كنت أعرف دائمًا أنه يوجد شيء ما يسبب القلق. فقلت:

– وبناءً على ذلك تحمس خيالك؟ واستطردت:

– لكن هذا الأمر يمكن أن يكون أبسط من ذلك، فيمكن أن تكوني طفلة طبيعية على سبيل المثال. فقالت:

– لقد فكرت كذلك في هذا الأمر، فكثير من الناس يتمسكون بإخفائه عن أولادهم، وهذا غير معقول! فكان من الأحسن أن يعترفوا لهم بالحقيقة، وفي أيامنا هذه هذا الأمر ليست له أية أهمية، ولكن المأساة تكمن في عدم فهم سبب كل ذلك، فلماذا اسمي "روزماري"؟ وهذا يعني "ذكرى مبهمة" وفقًا لما أعتقد؟ فقلت:

– يمكن أن يكون اسمًا جذابًا مؤنسًا. قالت:

– نعم، لكن ليس لديّ انطباع عن ذلك، وعلى أية حال وفقًا للأسئلة التي طرحها عليّ المفتش في يوم ما بدأت أفكر في سبب استدعائي إلى هناك يوم الجريمة، ويمكن أن يكون الشخص الميت هو الذي حدد هذا الميعاد، من يعرف؟ ويمكن أن يكون... والدي قد دعاني لأساعده، لكن بدلا من ذلك جاء قاتله ليقتله، أو منذ البداية حاول القاتل أن يجعل الناس يعتقدون أني أنا المذنبة أو القاتلة؟ ثم ماذا يمكن أن يكون للشيطانة "إدنا" من سر لتقوله لي؟ ولا يمكن أن تكون قد اعتقدت أني شاركت في هذه الجريمة! فقلت:

– يمكن أن تكون قد سمعت شيئًا ما أساءت فهمه. قالت:

– لكن لا، لا شيء، هذا غير معقول! ومع ذلك كانت لديّ شكوكي، نعم، فعلى الرغم من كل ما اعترفت لي به "شيلا" منذ فترة وجيزة لم أستطع أن أمنع نفسي من أن يكون لي شكوك... وأن أخشى من أنها لم تقل لي كل الحقيقة، وهكذا كنا نتحدث عن هذا الأمر. وقصتها عن الساعة كانت خيالية جدًا! وهذه الأرقام اللافتة للنظر 4.13 المنسوخة على بطاقة البريد مع هذه الكلمات: "تذكرا" لا يوجد تفسير لها، إلا إذا كانت تعني شيئًا ما بالنسبة إلى المرسل إليه، ودفعتُ الحساب وقمت وأنا حزين وقلت لها:

– لا تثبطي همتك، فالخدمة السرية لـ "كولن لامب" تحت تصرفك، وكل شيء سيتدبر في نهاية الأمر، وسوف نتزوج ونعيش سعيدين دون أي نقود، لكن بالنسبة إلى المنبه فماذا فعلت به؟ فقالت:

– ألقيته في سلة المهملات الخاصة بجاري. ببساطة وبكل دهاء! كان يجب أن أفكر في ذلك، ولقد أسأت تقدير القدرات الخاصة لـ "شيلا".

الفصل الرابع والعشرون

وبعد أن تركت "شيلا" حزمت حقيبتي وأعطيتها لبواب الفندق، ثم ذهبت إلى مكتب بريد البوليس لكي أطلب رؤية "ديك هاردكسل"، ووجدته وفي يده رسالة، وجبهته مهمومة وقلت له:

– إني سأذهب إلى "لندن" هذا المساء يا "ديك". ورفع نظره تجاهي ووجهه يفكر وقال لي:

– أمسك، اقرأ هذا أيها العجوز. وأعطاني رسالته لكي أقرأها:

عزيزي الأستاذ.

لديّ شيء ما لأقوله لك، فعندما سألتني في هذا اليوم عمّا إذا كان زوجي له علامة مميزة أجبتك بلا، لكن كنت أخدع نفسي، فقد تذكرت أنه كان لديه ندبة خلف أذنه اليسرى، أي جرح بشفرة فعله لنفسه، وهو جرح صغير ولا معنى له كنت قد نسيته.

مع مشاعري المميزة

"مارلينا ريفال".

فصرخت قائلا :

– إثبات ممتاز للتأكيد، فلماذا أنت شديد القلق؟ وقال "هاردكسل" وهو مكتئب جداً :

– هذه القضية جهنمية. ودقت ساعة مجاورة معلنة الثانية عشرة والربع ظهراً في اللحظة التي ضغطت فيها على جرس المنزل رقم 62 في شارع "ويلبراهام كريسنت"، وانفتح لي الباب بواسطة السيدة "رامساي" التي قالت لي بنظرات هاربة :

– ماذا تريد؟ فقلت :

– أريد أن أراكِ لبضع لحظات. واقتادتني إلى حجرة الاستقبال بحركة عصبية ودعتني إلى الجلوس، فسألتها :

– زوجك دائمًا على سفر؟ فأجابت :

– نعم. فقلت :

– لقد رحل منذ فترة طويلة على ما يبدو لي؟ وبعيداً عن هنا دون شك؟ فقالت :

– ماذا تعرف عنه؟ فقلت :

– ألا يوجد خلف الستار الحديدي (عبارة تشير إلى الحدود التي تفصل الجمهوريات الاشتراكية في "أوربا" الشرقية عن دول "أوربا" الغربية)؟ فصمتت لحظة ثم قالت بصوت قوي :

– نعم، إن الحال كذلك بالضبط. فقلت :

– هل تعرفين إلى أين ذهب؟ فقالت :

– أكثر أو أقل (ثم صمتت قليلا) واستطردت قائلة :

– أراد... أراد أن ألحق به هناك. فقلت :

– هل كان يدبر لذلك منذ فترة طويلة؟ فقالت :

– إني أعتقد ذلك، ولكنه لم يبح لي به سوى منذ فترة وجيزة. فقلت :

– هل تشاركينه آراءه؟ فقالت :

– في الوقت الحالي نعم.. لكن لن أعلمك شيئًا دون شك. قلت :

– تستطيعين أن تعلمينا بمعلومات نافعة جداً. فقالت :

– لا، مستحيل، ليس لأني لا أريد، لكن لأني لا أعلم شيئًا دقيقًا عن الموضوع.
فقلت:

– هل زوجك منغمس أو متورط في قضية "لاركن"؟ وقالت:

– إني أجهل ذلك، ولم يقل لي ذلك مطلقًا، ولم أردْ أن أعرف أي شيء (ثم فجأة وهي مرتجفة) أريد أن أحدثك بصراحة يا سيد "لامب"، فإني أُبجِّل زوجي، وسواء كنت معه في السياسة أم ضده كنت أود أن أصطحبه إلى "موسكو" ما دمت أحبه، ولكنه تمسك بأن أرسل الأولاد كذلك إلى "موسكو" وأنا رفضت، هذا كل ما في الأمر، وكان يجب عليّ أن أمكث مع أولادي، ولا أعرف ما إذا كنت سأرى زوجي مرة أخرى أم لا، فكل منا يتبع الطريق التي اختارها، لكن يوجد شيء التصقت به فوق كل شيء، فقد كنت أريد لأولادي أن يتربوا هنا في وطنهم، وأردت أن يكونوا كأولاد إنجليز صغار طيبين مثل الآخرين. وبعد بضع لحظات أخرى تركتها دون أن أعرف شيئًا جديدًا، واخترقت شارع الـ "كريسنت" في اتجاه شارع "ألباني رود" وقابلت السيد "بلاند" وهو مبتهج وقال:

– إذن، كيف الحال؟ كيف حال القتلة؟ ألم تجئ إلى المحكمة في ذلك اليوم؟ فقلت:

– لا، كنت بالخارج. وقال وهو يغمز بعينه:

– وأنا كذلك يا ولدي، وأنا كذلك كنت في "بولونيا" ليوم واحد ودون زوجتي، بالتأكيد مع فتاة صغيرة شقراء.. قنبلة ذرية! فصرخت:

– آه! والقضايا؟! وكلانا كصديقين طيبين انفجرنا ضاحكين، ثم بينما كنت أرحل في اتجاه شارع "ألباني رود" ابتعد هو في اتجاه المنزل رقم 61، وكنت حزينًا من نفسي، وقد كرر لي "بوارو" ذلك كثيرًا، فإني لم أعرف كيف أنتفع من الجيران. فقد كان من غير الطبيعي أن الحادث لم يره أي شخص، ونظرت من الجانب الآخر من الشارع، فهل حقيقة لم يوجد أي شخص؟ وتمنيت من السماء أن تصطف أمامي بيوت رقيقة جميلة بدلا من الكتل الأسمنتية الكبرى، وفجأة عند منتصف ارتفاع المبنى ظهر شعاع من ضوء لافت للنظر وثبتٌ في المكان. نعم من جديد هذا الشعاع وعن طريق شباك مفتوح كان شخص ما ينظر. ووجهه نصف مخفيٌ بواسطة أداة يمسك بها زمام وجهه، وبحثت بيدي في

الجاكت بحثًا عن منظار الجيب الخاص بي.

لقد كانت هناك طفلة تلاحظني بواسطة منظار، وحددت بدقة مكان هذه النافذة، ومن الخارج يبدو بسيطًا جدًّا أن تحدد غرفة في مبنى، لكن بالداخل فهذا الأمر معقد، ومع ذلك بفضل خبرتي مع هذا النوع من الأشياء، عندما شعرت بأني تقريبًا متأكد، ذهبت أمام باب المنزل رقم 77 حتى لا أنخدع، وبعد أن ضغطت على الجرس، رجعت خطوة إلى الوراء مستعدًّا لكل الاحتمالات.

الفصل الخامس والعشرون

وبعد دقيقة انفتح الباب، ووجدت أمامي سيدة سمينة شقراء من الشمال ذات وجنتين حمراوين ترتدي ملابس ذات ألوان ساطعة وتنظر إليّ كأنها تتساءل، فقلت:

– إني آسف، توجد هنا فتاة صغيرة، أليس كذلك؟ وقد تركت شيئًا ما يسقط عبر النافذة. ولم تكن اللغة الإنجليزية لغتها الأصلية، فأجابت بضحكة ثم قالت:

– إني آسفة، ماذا تقول؟ فقلت:

– الطفلة، الفتاة الصغيرة. فقالت:

– نعم، نعم. فقلت:

– تركت شيئًا ما يسقط عبر النافذة. وألحقت الحركة بالكلمة، ثم أضفت:

– لقد أخذتها لكي أحضرها لها. وفتحت يدي وأظهرت لها مطواة صغيرة من الفضة تأملتها بعيني بقرة. فقالت:

– لا أعتقد، لم أرَ ذلك إطلاقا. فقلت لها بلطف:

– كنت تقومين بتنظيف آنية المطبخ؟ فقالت:

– نعم، نعم أنا بالمطبخ. وهزت رأسها بشدة فقلت:

– لا أريد أن أزعجك، اسمحي لي فقط بأن أعطيها المطواة. فقالت:

– آسفة. وانبثق منها وميض من الفهم، ثم عبرت البهو، وفتحت لي باب حجرة الاستقبال واستقبلتني، وبالقرب من النافذة سحبنا أريكة كان يوجد فوقها طفلة ممددة

وساقها في الجبس. وقالت:

– هذا السيد يقول إنك تركت شيئًا ما يسقط من النافذة... وبالمصادفة في هذه اللحظة صعدت من المطبخ رائحة قوية من الشياط. وأطلقت مرشدتي صرخة منخفضة من الضيق فقالت:

– أوه! آسفة... آسفة! فقلت:

– اذهبي.. سأتصرف بمفردي. وهربتْ دون أن تتوسل، بينما دخلتُ الغرفة وأغلقتُ الباب ورائي، وتقدمتُ نحو الأريكة، وقلت للطفلة:

– نهارك سعيد. فأجابت الطفلة:

– نهارك سعيد. ونظرت إليّ نظرة ثاقبة أوشكت أن تجعلني أفقد توازني، ومع خصلات شعرها الصغيرة التي تشبه ذيل الفأر وجبهتها المقببة، وذقنها الرقيق الأملس لم تكن مطلقًا جميلة، ولكن عينيها كانتا تبرقان بالذكاء! وقلت:

– اسمي "كولن لامب"، وأنتِ؟ فقالت:

– "جيرالدين ماري ألكسندرا براون". فقلت:

– يا إلهي! اسم مثل تيار الهواء، وأي اسم تختارينه؟ فقالت:

– "جيرالدين" وأحيانًا "جيري"، ولكني لا أُفَضِّل ذلك، ومع ذلك فأبي لا يحب الأسماء المصغرة.

إن أحد مميزات علاقاتنا مع الأطفال هي أنهم غير تقليديين، فأي شخص بالغ كان سيسألني على الفور عما جئت لأعمل، ولكن "جيرالدين" على العكس تمامًا من ذلك كانت متضايقة من وحدتها، وكانت مستعدة تمامًا للثرثرة معي دون أن تربكني بأسئلة لافائدة منها. وقلت:

– هل والدك هنا؟ فأجابتني بالحيوية الدائمة نفسها والولع بالتفاصيل نفسه:

– "جارتنجهافن" للأعمال الهندسية، "ريفربردج" على بعد 18,500 كم من هنا. وقلت:

– وأمك؟ وأعلمتني "جيرالدين" بصوتها المرح أن أمها ماتت عندما كان عمرها شهرين عند عودتها من "فرنسا"؛ فقد تحطمت طائرتها عند ارتطامها بالأرض ومات كل

من كان على متنها، وقالت لي ذلك بنوع من السعادة، وفهمت أنه عندما نموت بسبب كارثة كبرى ستحيط بنا هالة من المجد. فقلت:

– إني أفهم، إذن أنتِ... وأدرت رأسي نحو الباب. فقالت:

– إنها "إنجريد" من "النرويج"، إنها هنا منذ خمسة عشر يومًا، وهي ما زالت لاتعرف اللغة الإنجليزية جيداً حتى تتحدث بها، وأنا أعطيها دروسًا في اللغة الإنجليزية. فقلت:

– وهي تعلمك اللغة النرويجية؟ فقالت "جيرالدين":

– لا، قليلا جداً. قلت:

– هل تحبينها؟ فقالت:

– هكذا هي تطبخ لنا طعامًا غير مألوف، هل تعرف أنها تحب السمك النيء؟ فقلت:

– إني أكلت ذلك في "النرويج" وأحيانًا يكون جيد الطعم. ولا يبدو أن "جيرالدين" تقتنع بكل شيء، فقالت:

– اليوم تجهز لنا كعكة الفاكهة بسكر القصب. فقلت:

– إنها تبدو لي أكلة مغذية. فقالت بذوق:

– أممم...... نعم، أحب ذلك، هل تتغدى هنا؟ قلت:

– لا، شكرًا، في الواقع كنت أمر أسفل نوافذ منزلكم، ألست أنت التي أسقطت هذا؟ فقالت:

– أنا؟ فقلت:

– نعم. وأنا أُظهر لها مطواة من الفضة، وفحصتها "جيرالدين" وهي تنتقدني أولا ثم توافقت معي فقالت:

– إنه شيء جميل، ما هذا؟ فقلت:

– سكين لتقشير الفاكهة. فقالت:

– أوه! إني أفهم، لتقشير البطاطس وأشياء أخرى؟ قلت:

– نعم. فقالت بتنهد قوي:

– إنها ليست لي، فلست أنا التي أسقطتها، وما الذي يجعلك تعتقد ذلك؟ فقلت:

– لأنك كنت عند نافذتك و... فقالت:

ـ إني دائمًا عند نافذتي، انظر، لقد كُسرت ساقي وأنا أسقط. فقلت:

ـ ما هذا الحظ السيئ؟ فقالت:

ـ أليس كذلك؟ وقلت:

ـ يبدو أنك تتضايقين هنا؟ فقالت:

ـ كثيرًا، ولحسن الحظ يحضر لي والدي الكثير من الهدايا، والأقلام وألعاب الصبر (نوع من لعب الورق) وكذلك عندما أملُّ من عمل أشياء أنظر من النافذة بواسطة هذا. وعرضت عليّ بكل فخر منظارًا صغيرًا للمسرح، فسألتها قائلا:

ـ اتسمحين لي؟ وأخذته، وضبطته على نظري ونظرت إلى الخارج وقلت:

ـ إنه جيد جدًا. فقد كان المنظار جيدًا جدًا في الواقع ويمكن أن نرى منه بوضوح مدهش المنزل رقم 19 بشارع "ويلبراهام كريسنت" والمنازل المجاورة. فقالت:

ـ إنه منظار حقيقيٌّ وليس للأطفال الصغار ولا كما تريد أن تعمل. قلت:

ـ في الواقع إني أرى بطريقة جيدة. فقالت:

ـ لديّ كذلك كتاب صغير (وأظهرته لي) حيث أدوِّن ما يحدث وفي أي ساعة، كما نلعب في عد القطارات وابن عمي "ديك" يحب ذلك، ونقوم كذلك بعد أرقام السيارات، ونبدأ برقم واحد ونرى حتى أي رقم نستطيع أن نعد. فقلت:

ـ لعبة مسلية جدًا. فقالت:

ـ هذا صحيح، وللأسف عدد قليل من السيارات يمر في هذا الشارع، ولهذا تركت اللعبة منذ فترة. فقلت:

ـ أعتقد أنك تعرفين كل هذه البيوت حولك وجيرانك كذلك. وتحدثت بصوت مرتفع، ولكن "جيرالدين" انتهزت الفرصة وقالت:

ـ أوه! نعم، إني أعرف أسماءهم الحقيقية، لكن أعطيتهم كلهم أسماء. فقلت متعجبًا:

ـ غريب جدًا. وأشارت "جيرالدين" بأصبعها وقالت:

ـ هناك الماركيزة "كارّاباس"، فهذا المنزل ليس به أشجار، أنت تعرف جيدًا كما في قصة القطة السوداء. فإنه من الجنون أن يكون عندها قطط يبلغ عددها المئات! وقلت:

– لقد تحدثت منذ فترة وجيزة مع إحداها، ألا وهي القطة الشقراء. فقالت "**جيرالدين**" :

– لقد رأيتك. فقلت:

– أنت ملاحظة جيدة ولا يهرب منك سوى القليل من الأشياء. وضحكت "**جيرالدين**" بعد أن تملقتها، وفتح الباب من جديد أمام "**إنجريد**" وهي تنهج جداً وتقول:

– هل كل شيء على ما يرام؟ وأجابت "**جيرالدين**" بصوت قاطع:

– كل شيء يمضي بطريقة جيدة جداً، لا تخافي يا "**إنجريد**". ثم قالت "نعم" برأسها بطريقة متحركة وشرحت لها وهي تحرك يديها وقالت:

– اذهبي إلى مطبخك، هيا دعيني وشأني أو اتركيني وحالي. فقالت "**إنجريد**" :

– إنها زيارة لك. فقالت "**جيرالدين**" :

– إنها تتعصب عندما تقوم بأعمال المطبخ وخاصة إذا عملت طبقًا جديداً. فقلت:

– حدثيني كذلك عن جيرانك، وعما رأيته، من يعيش في المنزل القريب منك الأكثر رقة؟ فقالت:

– أوه! واحدة عمياء، وعندما نراها تمشي لا نعتقد مع ذلك إطلاقا أنها عمياء . لقد قال لي ذلك "هاري" البواب، فهو يحدثني عن كل شيء، وهو الذي قص عليّ حادثة الاغتيال. وقلت مظهراً دهشة خبيثة:

– الاغتيال؟ قالت:

– إنها المرة الأولى التي أرى فيها واقعة قتل. قلت:

– إنها رواية نابضة بالحياة، أوه... وماذا رأيت؟ قالت:

– حسن، لقد كانت ساعة الراحة من النهار عندما خرجت الفتاة فجأة وهي تصيح، إذن أصبح ذلك مثيراً للاهتمام، فهمت على الفور أنه حدث شيء ما. وقلت:

– من صرخ؟ قالت:

– فتاة في مقتبل العمر وجميلة جداً جرت وأخذت تصرخ وتصرخ، وكان هناك رجل شاب يسير في الشارع، وخرجت الفتاة من الشبكة وتشبثت به هكذا. وقلدت مشهد

الذراعين، ثم فجأة نظرت إليّ وقالت:

– إنك تشبه هذا الشخص كثيراً. وقلت مازحًا:

– يجب أن يكون لي شخص يشبهني، وإذن ماذا حدث؟ قالت:

– حسن، لقد طرحها هذا الشخص أرضًا ودخل في المنزل. وقلت:

– استمري. وقالت:

– إذن، حدث العديد من الأشياء، فقد خرج الرجل من المنزل ليذهب إلى كبينة التليفون ليتصل بالتليفون. قلت:

– وفي أية ساعة تتناولين طعام الغداء عادة يا "جيرالدين"؟ قالت:

– أوه! ليس لي ساعة محددة، في ساعة "إنجريد". قلت:

– ويوم الاغتيال هل تناولت غداءك مبكراً؟ قالت:

– أوه! نعم، حتى يتسنى لـ "إنجريد" أن تتزين وتخرج من المنزل. فقلت:

– إذن، في هذا الصباح كنت تنظرين إلى الناس وهم يمرون – عبر نافذتك؟ قالت:

– نعم، في أغلب الأحيان. قلت:

– والرجل الذي تم اغتياله ألم تريه وهو يدخل المنزل؟ وقالت:

– لا، لم أره يدخل أو يرن جرس الباب. قلت:

– يمكن أن يكون قد مر من الحديقة، على أية حال وأنت نائمة كما أنت يجب أن يكون من الصعب أن تميزي يومًا عن الآخر. وقالت وقد لذعت بالكلام:

– لا، إطلاقًا، أستطيع أن أقول لك كل شيء، متى دخلت السيدة "كراب" ومتى خرجت. وقلت:

– هل تتحدثين عن خادمة المنزل؟ فقالت:

– نعم، إنها تمشي عبر المنزل مثل السرطان. قلت:

– إذن، في هذا اليوم وأنت متسلحة بمنظارك، كنت هنا تنظرين؟ فقالت "جيرالدين":

– نعم. قلت:

– ولم ترْي أحداً؟ لا سيارة ولا تاجراً ولا زيارات؟ وقالت:

– البقال يمر يومي الاثنين والخميس، أما بالنسبة إلى اللبن (الحليب) فإنه يوضع في

الثامنة صباحًا. فقلت لنفسي: يا لها من طفلة، إنها أجندة أعمال حقيقية. واستطردت:

– لا، لم يأت أحد ما عدا الغسَّال، ومع ذلك فلم يكن هو الغسَّال الذي يأتي كل يوم. وقلت:

– ليس الغسَّال نفسه؟ فقالت:

– لا، في العادة فإن مغسلة "ثوثرن" التي ترسل غسَّالا إلى كل واحد تقريبًا، لكن في هذا اليوم كانت مغسلة أخرى ألا وهي مغسلة "سنوفلاك"، وكانت المرة الأولى التي أرى فيها هذا الغسَّال، غسَّال جديد دون شك؟ وتجنبت على قدر استطاعتي أن ألفت انتباهها إلى صوتي، فلا داعي لإثارة خيالها! فقلت:

– هل سلموا أقمشة أو ملابس أو أخذوها؟ فقالت "جيرالدين":

– سلموا في سلة كبيرة، أكبر من المعتاد. قلت:

– هل السيدة "بيبمارش" هي التي استقبلته؟ وقالت:

– لا، كانت قد خرجت. فقلت:

– في أية ساعة يا "جيرالدين"؟ فقالت وهي فخورة جدًّا:

– في الواحدة و 35 دقيقة بعد الظهر تمامًا، وقد دونت ذلك. وبإصبع غير نظيف حددت لي ملاحظة على مفكرتها الصغيرة: الواحدة و35 دقيقة بعد الظهر في المنزل رقم 19 "الغسَّال". فقلت:

– قولي لي إذن كيف حدث ذلك؟ فقالت "جيرالدين":

– لم يحدث أي شيء، فالمسلِّم نزل وفتح شاحنته الصغيرة وأخرج سلته التي نقلها وهو متردد إلى باب المنزل الأخير، ولم أعتقد أنه استطاع أن يدخل، فالسيدة "بيبمارش" كانت قد أقفلته، ولهذا ترك السلة أمام الباب. قلت:

– ما هي ملامحه؟ فقالت:

– مثل ملامح أي شخص آخر. قلت:

– مثلي؟ قالت:

– لا، أكبر منك سنًّا. وقلت:

– وبعد ذلك رحل؟ فقالت:

– نعم، لماذا؟ هل هذا يهمك كثيراً؟ قلت:

– لا أعرف أي شيء، إنه ليس سوى سؤال. وفتح الباب فجأة أمام "**إنجريد**" ومنضدتها المتحركة. قالت وعيناها تبرقان:

– يجب أن تتناولي طعام الغداء. وقالت "**جيرالدين**":

– أوه! أيّ مصادفة، فإني أموت جوعًا. قلت:

– لقد حان وقت رحيلي، إلى اللقاء يا "**جيرالدين**". وقالت وهي تجيبني:

– إلى اللقاء، والمطواة؟ أي خسارة إنها ليست ملكي! فقلت:

– يبدو أنها ليست ملكًا لأحد، فمن الأفضل أن تحتفظي بها.

الفصل السادس والعشرون

وفي مساء يوم ما عندما عادت السيدة "**ريفال**" إلى منزلها، وهي ثملة قليلا من بار "**بيكوركس آرم**"، وعندما كانت تهم بفتح الباب صعد إليها صوت من أسفل المنزل يقول:

– يوجد أستاذ ينتظرك في الدور الأول. فقالت السيدة "**ريفال**" وهي مندهشة:

– أنا؟! فأجاب الصوت:

– نعم، على أية حال أستاذ مناسب إذا أردنا وليس من الطبقة العليا. وبعد عدة صعوبات في إدخال المفتاح في القفل نجحت السيدة "**ريفال**" أخيراً في التوغل داخل المنزل حيث تختلط روائح الكرنب، وشجر "**أوكالبتوس**" للزينة والسمك. وبمساعدة الدرابزين، صعدت درجات السلم ودفعت باب الدور الأول وتوقفت فجأة ورجعت خطوة، وقالت:

– إنه أنت. فقال المفتش "**هاردكسل**" وهو يقف:

– مساء الخير يا سيدتي "**ريفال**". فقالت بلهجة أكثر عدوانية من لهجتها العادية وتفوح منها رائحة الكحول أسفل أنف المفتش:

– اسمع، "**هاري**" قصة قديمة وأريد أن أنساها الآن. وقال المفتش بصوت متملق وهو

يتأسف تقريبًا:

– نقصد فقط نقطة تفصيلية، ففي رسالتك الأخيرة أعطيتنا معلومة إضافية بخصوص ندبة على ما أعتقد. وقالت السيدة "ريفال" وهي تشير إلى أذنها بحركة ما:

– نعم، خلف الأذن اليسرى. وقال:

– ومتى جرح نفسه هذا الجرح بالموسى؟ وفكرت السيدة "ريفال" وقالت:

– أوه! ستة أشهر... ستة أشهر بعد زواجنا. فقال:

– في حوالي شهر تشرين الأول (أكتوبر) أو شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة 1946؟ أليس كذلك؟ فقالت:

– بالضبط. قال "هاردكسل":

– شيء لافت للنظر، شيء يلفت النظر بشدة فوفقًا لأقوال الطبيب الشرعي والجراح استشرناه يميل نسيج الندبة إلى إثبات أن هذا الجرح يرجع تاريخه إلى خمس أو ست سنوات على الأكثر. فقالت:

– أي حماقة! أنا لا أعتقد في أي شيء ... لا أحد يمكنه أن يعرف، ثم على أية حال... فقال:

– ولم تريه منذ عام 1950 أليس كذلك؟ إذن كيف تستطيعين أن تكوني على علم بهذه الندبة الأكثر حداثة بكثير؟ وقالت السيدة "ريفال":

– "هاري" كانت عنده هذه الندبة وأنا أعرف ذلك بنفسي. ونهض المفتش وقال:

– أعتقد يا سيدتي "ريفال" أنه من الأفضل لك أن تفكري بجدية قبل أن تدلي بشهادتك، فأنت لا تريدين أن تجذبي إليك مضايقات، أليس كذلك؟ فقالت:

– مضايقات؟ ماذا تريد أن تقول؟ فقال المفتش بصوت حزين:

– الشهادة الكاذبة في نظر القانون شيء خطير فقد تتعرضين للسجن. فقالت وهي تقف ثانية:

– إنها المرة الأولى التي أسمع فيها هذه الحماقات. ولمعت عيناها ثم أضافت:

– إني أحاول أن أقوم بواجبي بمساعدتك، وأحكي لك كل ما أتذكره، وإذا ارتكبت خطأً ما فهذا شيء طبيعي على ما أعتقد؟ فمنذ كل هذه السنين، مع هذا العدد من...

الأصدقاء الرجال الطيبين الذين عرفتهم يمكن أن أقوم بعمل خلطة عجيبة. وقال المفتش:

ـ مساء الخير يا سيدتي "ريفال"، نصيحة جيدة الا وهي: فكري، وهذا كل ما في الأمر. وما إن أدار المفتش وجهه حتى تغيرت أطراف وجه السيدة "ريفال"، وارتعبت فقد كانت مرتعبة، وبعد نصف الساعة تواجدت في كبينة تليفون عمومية لتتحدث في التليفون. وقالت:

ـ ألو!... آه! إنه أنت؟ حسن، فقد تملكتني بطريقة غير مألوفة، ولم تقل لي ماأتعرض له من مخاطر، فمنذ لحظة أوشكت أن أنغمس في قضية قتل وإني مجنونة، وأكرر لك ذلك... ويبدو أن هذه الندبة حدثت له منذ عام أو عامين وأنا كنت هنا لأؤكد أن هذه الندبة حدثت له قبل أن أنفصل عنه... لا" أن أقدم خدمة هذا شيء آخر... نعم إني أعرف... إني أعرف جيداً أنك دفعت لي... حسن أنا سأطيعك، لكن لا أريد... حسن، حسن، إني سأصمت... ماذا؟ في أية ساعة؟... موافقة سأكون هناك"

وخرجت من كبينة التليفون وهي تبتسم..

ـ من أجل هذه الكمية من النقود تستحق أن تحدث لك مضايقات مع الشرطة".

وكانت قد حسبت كل ما يمكنها شراؤه بكل هذه الكمية من النقود.

الفصل السابع والعشرون

ونزلت شارع "شارنج كروس" وأنا أفكر في "شيلا" التي كانت تبدو في ورطة، وفي المحطة اشتريت الجريدة حيث قرأت أنه أمس في ساعة الذروة بمحطة "فكتوريا" سقطت إحدى السيدات على الأرض، وكان يُعتقد أنها ميتة أو مُغمى عليها، لكن عندما نقلت إلى المستشفى تبين أنها طُعنت بخنجر، وماتت دون أن تسترد وعيها، وكانت هذه المرأة تدعى "مارلينا ريفال"، وعندما اتصلتُ هاتفيًا بـ"هاردكسل" أكد لي الخبر وقال بصوت أزال الأوهام:

ـ هذا صحيح، وإني ذهبت أمس لرؤيتها، وأوضحت لها أن حكايتها عن الندبة لاتتفق مع شهادتها، وأن نسيج الندبة كان حديثًا جداً، شيء غريب! عندما يريد الناس

أن يعملوا بكل جدية يُقتلون، وتم رشوة هذه المرأة حتى تحدد ملامح جثة على أنها جثة زوجها، ونفذت بأعجوبة، وأنا أسير بمفردي، وفجأة في هذه اللحظة أراد الشخص الذي اتصل بها هاتفيًا أن يبدو أكثر لؤمًا، فندبة لا معنى لها تذكرتها بعد الشهادة أي إقناع هذا؟ وبعد ذلك نقوم بترتيب القصة، فإذا كانت قد شهدت بذلك منذ اليوم الأول لكان من الممكن أن تدعنا نقلق... وقلت له:

– إذن ماذا حدث عندما رأيتها؟ فقال:

– لقد ألصقتُ بها الهلع، ثم بعد رحيلي عنها مباشرة فعلتْ ما كنت أتوقعه واتصلت بالشخص الذي ورطها، وقد تتبع خطاها بطريقة طبيعية، لكن لا شيء يثير الاهتمام حتى مساء أمس عندما ذهبت إلى محطة "فكتوريا" واشترت تذكرة إلى "كرودين"، وكانت الساعة السادسة ساعة الازدحام، وتخيلتْ دون شك أن الميعاد كان في "كرودين" فكانت غير حذرة، ولكن الشخص الآخر القذر سبقها بذكاء، فكان من السهل عليه أن يندس خلفها وسط الناس وأن يطعنها بالسكين... فقلت على الرغم مني:

– هل.. هل تحققت من أسباب الغيبة؟ فأجاب بتلقائية وحماس:

– السيدة "بيمارش" كانت في "لندن" أمس بسبب مشاكل دراسية، ولم تعد إلى "كرودين" سوى بواسطة قطار الساعة السابعة والأربعين دقيقة. لحظة من الصمت ثم استطرد:

– أما بالنسبة إلى "شيلا ويب" فقد كان لها موعد مع كاتب أجنبي يمر في "لندن" من أجل تصحيح أحد المخطوطات، وفي الساعة الخامسة والنصف بعد أن تركته ذهبت بمفردها إلى السينما قبل أن تأخذ طريق العودة. فقلت:

– إذن يا "هاردكسل"، لديّ خبر مهم بالنسبة إليك، مؤكد شخص ما رآه، فيوم حادث القتل الأول توقفت شاحنة صغيرة للتنظيف عند المنزل رقم 19 في شارع "ويلبراهام كريسنت"، وجاء السائق ليسلم سلة كبيرة من الملابس عند باب الخدمة، سلة ضخمة، وكان الشخص الذي يقود الشاحنة رجلا وهو الذي ذهب حاملا السلة إلى داخل المنزل. وسأل "هاردكسل" فجأة بطريقة حذرة:

ـ أليست هذه واحدة من اختراعاتك يا "كولن"؟ فقلت:

ـ لا، لقد قلت لك إن عندي شاهداً على ذلك، وليس عليك سوى أن تتحقق يا "ديك"، اذهب. ودون أن أترك له الوقت لكي يتشدد في استنطاقي قطعت المخابرة التليفونية، وخرجت من كبينة التليفون ونظرت إلى ساعتي، وكان أمامي عمل كثير، وكنت أتمسك بأن أتواجد بعيداً عن عيون "هاردكسل"، فكل مستقبلي يعتمد على ذلك.

الفصل الثامن والعشرون

وبعد ذلك بخمسة أيام عندما عدت إلى شارع "كرودين" في الحادية عشرة مساءً نزلت كالعادة في فندق "كلارندون" وفي اليوم التالي أحضروا لي ظرفًا طويلا مع القهوة والخبز المحمص والجريدة التي طلبتها، وداخل الظرف ورقة واحدة مكتوب عليها بأحرف طباعة: "فندق "كورلو" الساعة الحادية عشرة والنصف ـ غرفة رقم413 اقرع الباب ثلاث مرات". وبعد أن قلبت الورقة، وقرأتها مرة ثانية تساءلت: ماذا تعني هذه الرسالة؟ ورقم الغرفة هذا؟ 413 أرقام مشابهة للأرقام التي تبينها الساعات، فهل هذه مصادفة أم ماذا إذن؟ شعرت بأني مُهاجم الآن، وبعد أن حلقت ذقني وغسلت وجهي وارتديت ملابسي وجدت نفسي في الساعة المحددة في فندق "كورلو"، وأمام باب الغرفة رقم 413 ترددت لحظة ثم اعتقدت أني أحمق تمامًا، قرعت الباب ثلاث مرات، فسمعت صوتا يقول:

ـ ادخل. وأدرت المقبض ولم يكن المزلاج موضوعًا، فدخلت وتوقفت فجأة، فوجدت في هذا المكان شخصًا لم أكن لأتوقعه، فتأملني "هركيل بوارو" فرحًا وقال لي:

ـ إذن مفاجأة صغيرة، أليس كذلك؟ لطيفة على ما أتمنى؟ وصرخت قائلا:

ـ "بوارو" الماكر العجوز، ماذا تفعل هنا؟ هل أنت الذي أرسلت هذا، ورفعت الرسالة أسفل عينيه. فقال:

ـ بالتأكيد، ماذا تريدني أن أكون؟ قلت:

– والغرفة رقم413 هل هذه مصادفة؟ قال:

– لا، لقد طلبتها عمداً، إذن هذه المفاجأة الصغيرة ليست على ذوقك، أليس كذلك؟ إنك لا تبدو سعيداً برؤيتي؟ فقلت:

– لو كنت مكاني هل ستكون سعيداً؟ قال:

– لم لا؟ على أية حال توقف عن المزاح ولنعد إلى الأشياء الجادة، فإني أعتقد أني أستطيع مساعدتك، فلقد ذهبت لرؤية المفتش الرئيسي، وفي هذه الساعة أنتظر المفتش "هاردكسل". فقلت:

– لتقول له ماذا؟ فقال:

– حسنا، لنتناقش نحن الثلاثة معًا. ونظرت إليه وأنا أضحك، لأنه يسمي هذه مناقشة وأنا أعرف جيداً من الذي يتكلم بلا انقطاع، ورفع "هاردكسل" – منذ وصوله وبعد مجاملاته العادية – صوته بوضوح وهو يغامر بحذر وقال:

– أتخيل يا سيد "بوارو" أنك تحب أن ترى كل شيء بنفسك وهذا ليس سهلا، ولكن... وقاطعته قائلا:

– السيد "بوارو" لا يحتاج إلى رؤية أي شيء، فوفقًا لرأيه نستطيع أن نحل أي مشكلة دون أن يغادر الكرسي الذي يجلس عليه، أليس ذلك حقيقيًا يا "بوارو"؟ واختال "بوارو" وهو يلمس أحد شاربيه بأطراف أصابعه وقلت وأنا أبتسم في ود:

– حسنا، أعطنا حلا للمشكلة بشرط أن تعرف المشكلة بالتأكيد. فقال:

– إني أعرف المشكلة بالتأكيد. ولم يصدق "هاردكسل" أذنيه، وبدأ "بوارو" كلامه فقال:

– الشيء الذي أدهشني في القصة التي رواها لي "كولن" هو خاصيتها الخيالية. فأربع ساعات – كل منها يتقدم ساعة عن الساعة العادية – موضوعة في منزل دون علم صاحبته، أو على الأقل وفقًا لما تدعي، وعلى الأرض جثة لرجل ذي خطوة محترمة لايعرفه أحد، ووفقًا لما قيل لنا أكثر من مرة وفي جيبه بطاقة زيارة باسم السيد "ر. هـ. كاري" من شركة تامينات "متروبوليس"، وهي شركة غير موجودة وكذلك السيد "كاري"، وفي الساعة الواحدة والخمسين دقيقة على ما يبدو تم الاتصال بالوكالة: فالسيدة "بيبمارش"

تطلب أن يرسلَ إليها سكرتيرة في الساعة الثالثة بعد الظهر إلى المنزل رقم 19 بشارع "ويلبراهام كريسنت" وتفضل الآنسة "شيلا ويب"، وظهرت هذه السيدة قبل الموعد بعدة دقائق ودخلت إلى البهو كما هو متفق عليه واكتشفت جثة وأسرعت إلى الخارج وهي تصرخ لتسقط بين ذراعي رجل شاب. ثم توقف "بوارو" وهو ينظر إليّ، وقلت وأنا أحييه بصوت منخفض:

ـ وظهر على الشاشة الفتى الأول الشاب. وقال "بوارو":

ـ وهكذا لا أحد حتى أنتم يمكن أن يمنع نفسه من أن تكون له لهجة مسرحية مضحكة للتحدث عن هذه القصة! فهي ميلودرامية وخيالية! وهي ما تخيله "جاري جريجسون" على سبيل المثال، ولكي أعترف لكم بكل شيء انغمست في دراسة القصة البوليسية على مدى الستين سنة الأخيرة، وتوصلنا إلى تقييم الجرائم الحقيقية من وجهة نظر رومانسية، ها هو إذن حادث اغتيال يحدث في يوم مشوش تمامًا ونقول في الحال هذا مستحيل، إنها رواية، لكن للأسف في هذه المرة، هذا الأمر حقيقي تمامًا، هذا حدث، وهو ما يعطي مادة للتفكير. وكان "هاردكسل" يؤيده تمامًا كما نرى في رأسه، واستطرد "بوارو":

ـ فلندع جانبًا تمثيل الجريمة... ولنتمسك بما هو ضروري، فإن هناك رجلا قد قُتل، وهذا الرجل وفقًا لآراء كل الناس هو رجل مسن، لا يوجد به أي عيب، ودون أي ملاحظات، وفجأة قلت لنفسي: "فلنقترح أن هذا الرجل ينتمي تمامًا إلى مظهره، أستاذ عجوز محترم يبدو ثريًا". فهل تفهمون ما أريد أن أقوله؟ قال ذلك وهو يلتفت تجاه "هاردكسل"، وقال المفتش بأدب:

ـ أوه. وقال "بوارو":

ـ ها نحن أمام رجل عجوز لطيف مثل كل الرجال الكبار السن، ولكن شخصًا مايريد أن يمحوه من على وجه الأرض، فمن هو هذا الشخص إذن؟ ولذلك استشرت صديقي العجوز "كولن" والجيران... فيجب أن نكلمهم وأن نستعلم عنهم وأن نثرثر معهم بصفة خاصة؛ لأنه في أثناء المحادثة لا نحصل على إجابات فحسب، لكن نحصل أيضًا على مقاصد يتخلصون منها. فقلت:

- نظرية عجيبة! ولكنها لم تتحقق للأسف في حالتنا. فقال:

- بل تحققت يا عزيزي، بواسطة جملة صغيرة جداً ونفيسة جداً. وقلت:

- أي جملة، ممن صدرت، وأين نُطقت؟ وقال:

- سوف تعرفها في الوقت المناسب يا عزيزي، فإذا رسمنا دائرة حول المنزل رقم 19 بشارع "ويلبراهام كريسنت"، فأي شخص داخل محيط الدائرة يمكن أن يقتل السيد "كاري"، وأكثر المشكوك فيهم هم الأشخاص الموجودون في المكان مثل السيدة "بيبمارش" التي كان لديها إمكانية الاغتيال قبل خروجها في الساعة الواحدة وخمس وثلاثين دقيقة بعد الظهر، أو حتى الآنسة "ويب" التي تستطيع أن تعطيه موعداً هناك وأن تقتله قبل أن تخرج مسرعة إلى الخارج وهي تصرخ طلبًا للمساعدة. فقال المفتش:

- آه! لقد أتينا إلى الواقع. واستطرد "بوارو" وهو يلتفت إليه وقال:

- وقلت لنفسي: "الواقع أن هذه الجريمة يجب أن تكون بسيطة جداً، فهذه الساعات الغريبة، وهذه الترتيبات التي اتخذت حتى نكتشف الجثة، فلندع كل ذلك جانبًا في الوقت الحالي". وكما تقول "أليس" التي لا تموت في "بلاد العجائب": "هذه العجائب ليست سوى سفن، وأحذية، وشجرة، ولحاء أو قشرة، وملوك، ومحيطات أو حتى لفت...". رجل عجوز قد قتل وهذا هو الشيء الأساسي، فمن أين جاء؟ ومن الذي اقتاده إلى المنزل رقم 19 بشارع "ويلبراهام كريسنت"؟ وفي هذا الموضوع نلاحظ ملاحظة مهمة من إحدى الجيران، ألا وهي السيدة "همنج" عندما علمت أن الميت لايسكن في المنزل رقم 19 فقد صرخت قائلة: "أوه! إذن لم يجئ إلى هنا سوى لكي يُقتل! كم هذا غريب!" وكل القصة تتلخص في هذا الأمر، ألا وهو إذا كان السيد "كاري" قد جاء إلى المنزل رقم 19، فذلك لكي يتم اغتياله، وهذا كل ما في الأمر.

- وأنا كذلك اندهشت من هذه العبارة، واستطرد "بوارو" وهو يتجاهلني وقال:

- صغير، صغير، صغير تعال إذن لكي نغتالك. فالسيد "كاري" قد جاء وتم اغتياله، لكن هذا ليس كل شيء، فيجب بصفة خاصة ألا نستطيع تحديد شخصيته، فلم يكن لديه محفظة نقود، أو أوراق بطاقة شخصية، ولا أي علامة على ملابسه، وللتأكد من هذا التخفي تفرض حالة مدنية مزيفة نفسها علينا، فمنذ البداية اقتنعت أنه في يوم

ماسيتقدم شخص – أخ أو أخت أو امرأة – لتحديد شخصيته بطريقة قاطعة، وكانت زوجته السيدة "ريفال" التي اسمها نفسه يمكن أن يوقظ وسواسنا، ففي الـ "سومرست" أقمت مع أصدقاء في قرية بهذا الاسم "كاري ريفل" "Curry Rivel" مع حرف e بدلا من a، فإنه في الوعي الباطن دون أن يخطر على بالي قمت باختيار هذه الأسماء: السيد "كاري" والسيدة "ريفال". إلى هنا كل شيء متماسك، ولكن شيئًا ما يحيرني، ألا وهو لماذا كان القاتل متأكداً من أنه لن يتم تحديد شخصية ضحيته؟ فهذا الرجل ألم تكن له عائلة؟ ولكن هناك دائمًا على الأقل بوابًا، وعلاقات أعمال، ومن هنا توصلت إلى القول بأنه ليس إنجليزيًّا، لكنه كان يمر فقط بالبلاد أو بـ "إنجلترا"، وهذا الفرض يؤكده واقع أن جراحة تجميلية لا تتناسب مع أي بطاقة قد عملت له هنا، وبدأت أكوِّن فكرة غامضة عن القاتل وضحيته. فهذه الجريمة تم الإعداد لها وتنفيذها بكل دقة، لكن كيف يستطيع القاتل أن يتنبأ بتدخل الحظ؟ وقال "هاردكسل":

– أي تدخل؟ وقال "بوارو":

– لنتحدث قليلا عن هذه الوكالة للآلة الكاتبة حيث تعمل ثماني بنات، ففي يوم 9 أيلول (سبتمبر) يوم الجريمة كانت أربع فتيات منهن عند زبائن يجلسن معهم لتناول الغداء، وهن في العادة كن يتناولن طعام الغداء من الثانية عشرة ظهراً حتى الواحدة والنصف، والأربع الأخريات "شيلا ويب" و"إدنا برنت"، و"جانيت" و"مورين" يتغيبن بعد ذلك من الواحدة والنصف وحتى الثانية والنصف، لكن في هذا اليوم حدثت نكبة صغيرة لـ "إدنا برنت" فما إن تركت المكتب حتى كُسر واحد من كعبيْ حذائها في الشبكة، فاشترت خبزًا على شكل هلال ودخلت الوكالة؛ لأنها لم تستطع السير، وقيل لنا إن شيئًا ما يقلق أو يزعج "إدنا برنت". وحاولت أن ترى "شيلا ويب" خارج المكتب دون أن تنجح في ذلك، وهناك علامة وحيدة عما يوجد في قلبها ألا وهي الكلمات التي قالتها أمام الوكيل في المحكمة: "وأنا لا أفهم كيف استطاعت أن تقول ذلك!" وهناك ثلاث نساء أعطين شهاداتهن ذلك الصباح ونقصد: السيدة "بيمارش" و"شيلا ويب" والآنسة "مارتندال". فقلت:

– والآنسة "مارتندال"؟ ولكن شهادتها لم تدم سوى دقيقتين! فقال:

– بالضبط، فقد أعطت ببساطة تقريراً عن الطلب التليفوني الذي تنسبه إلى السيدة "بيبمارش" . فقلت :

– هل كانت "إدنا" تعرف أن هذا التليفون ليس من السيدة "بيبمارش" ؟ وهذا ما كانت تريد قوله دون شك؟ فقال:

– أعتقد أن الأمر أبسط من ذلك بكثير، فبناءً على رأيي لم يكن هناك مطلقًا أي اتصال تليفوني. واستطرد "بوارو" :

– كانت الآنسة "مارتندال" تجهل عودة "إدنا" وهي منغلقة في مكتبها، واعتقدت أنها وحدها، ويكفي أن تقول إنه تم الاتصال في الساعة الواحدة و 49 دقيقة بعد الظهر، وفي هذه اللحظة لم تكن "إدنا" تعلم باهمية ما تعرفه، واستدعت الآنسة "مارتندال" "شيلا" لإرسالها في ميعاد ما، فمتى وكيف أخذت هذا الموعد؟ لا أحد يتكلم في هذا الخصوص إلى "إدنا" ، ثم جاء التحقيق، وهنا أمام كل البنات الصغيرات وهن مجتمعات كررت الآنسة "مارتندال" قصتها، وفي هذه اللحظة سألت "إدنا" وكيل الحرس عما إذا كان بإمكانها أن تتحدث إلى المفتش، ويحتمل أن تكون الآنسة "مارتندال" قد سمعتها وسط الجموع التي تنصرف خارج القاعة ثم تتبعتها حتى "ويلبراهام كريسنت"، وما الذي دفع "إدنا" إلى الذهاب إلى هناك؟ إني أسأل نفسي. وقال "هاردكسل" وهو يتنهد :

– مثل كثير من الناس، الرغبة في مشاهدة مكان الجريمة على ما يحتمل. وقال "بوارو" :

– نعم يُحتمل، وقد اقتربت منها دون شك الآنسة "مارتندال" واصطحبتها حتى نهاية الطريق، وبما أن "إدنا" كانت تعرض عليها شكوكها قررت هي أن تعمل وبسرعة، وكانتا بالقرب من كبينة التليفون، وقالت لها الآنسة "مارتندال" : "بسرعة، إنه شيء مهم جداً، يجب أن نطلب الشرطة في الحال لنعلمهم بمجيئنا" فدخلت "إدنا" في الكبينة ورفعت سماعة التليفون، ثم تبعتها الآنسة "مارتندال" وخنقتها. فقلت:

– دون أن يراها أحد؟ ورفع "بوارو" كتفيه استخفافًا وقال:

– كل شيء يمكن أن يحدث بالتأكيد، ولكنها كانت ساعة الغداء والمارة في الشارع

كانوا يهتمون جداً بفتح أفواههم اندهاشًا أمام المنزل رقم 19، وبالنسبة إلى هذه المرأة دون وساوس فلم يكن ذلك سوى مخاطرة تقوم بها. ولكن "هاردكسل" لم يبد مقتنعًا فقال:

ـ الآنسة "مارتندال"؟ لكن ماذا جاءت لتعمل في هذه القصة؟ واستدار "هركيل بوارو" نحوي وأشار بعلامة توبيخ قائلا:

ـ وهكذا فإن محادثاتكم مع الجيران لم تعلمكم شيئًا؟ وأنا قد لاحظت جملة من أكثر الجمل المبينة، تذكّر: بعد أن ناقشت الحياة في الخارج لاحظ السيد "بلاند" أنها تحب أن تكون في "كرودين" لأنه كانت لديها أخت هناك، ولكن السيدة "بلاند" لم يكن لها أخوات، ومنذ عام ورثت مبلغًا كبيراً من النقود من خالها الكنديّ على أنها الوحيدة التي ظلت على قيد الحياة من كل العائلة. ونهض "هاردكسل" بحماس وقال:

ـ إذن، هل تعتقد... وضم "بوارو" يديه إلى بعضهما وقال:

ـ ضع نفسك مكان رجل لا تخنقه الوساوس مطلقًا، وهوجم بآلاف الصعوبات المالية، ويومًا ما وصلته رسالة من موثق العقود تفيد أن زوجته ورثت ثروة ضخمة من خالها الكنديّ، وهذه الرسالة موجهة إلى السيدة "بلاند"، وللأسف إنها ليست السيدة "بلاند" الحالية التي ليست سوى الزوجة الثانية، فتخيل يأسهم وغضبهم! لكن خطرت لهم فكرة، فمن يمكنه أن يعرف أنه ليست هذه السيدة "بلاند" الوريثة؟ ولا أحد في "كرودين" قد علم بهذا الزواج السابق الذي حدث في الخارج في أثناء الحرب منذ عدة سنوات، ويحتمل جداً أن زوجته الأولى قد ماتت بعد ذلك بقليل، واكتملت الإجراءات الشكلية الشرعية وها هي عائلة "بلاند" غنية مترفهة بعيداً عن هموم النقود، لكن بعد ذلك بعام ماذا حدث؟ وفقًا لفكرتي ها هو شخص نزل من "كندا"، وهو شخص يعرف جيداً الزوجة الأولى أو السيدة "بلاند" الأولى، على أية حال يعرفها معرفة تكفي لإثارة الموضوع من جديد أو وضع النار في الأخشاب. فقلت:

ـ إذن، يجب إزالته؟ فقال:

ـ نعم، وفي هذه النقطة أعتقد أن أخت السيدة "بلاند" قد لعبت دوراً مهمًا. فهي التي تخيلت السيناريو ونفذته. فقلت:

ـ بالنسبة إليك، هل الآنسة "مارتندال" والسيدة "بلاند" هما أختان؟ فقال:

– نعم، وهذا يفسر كل شيء. وقلت:

– لكن كيف يستطيعان أن يتمنيا التخلّص من الموضوع؟ فرجل ما لا يختفي هكذا، فإننا نقوم بأبحاث... وقال "بوارو":

– إذا كنت أنا القاتل، فسأقوم برحلة قصيرة إلى "بلجيكا" أو "فرنسا" لأتخلص من جواز سفر الضحية وحتى تدور الأبحاث في الخارج. وانتفضت لاإراديًا مما جذب انتباه "بوارو" فقال:

– نعم؟ قلت:

– لقد حكى لي "بلاند" أنه قام مؤخرًا برحلة قصيرة لمدة يوم إلى "بولونيا" مع سيدة شقراء على ما أعتقد... وقال "هاردكسل" معترضًا:

– كل ذلك ليس سوى افتراض. وأمسك "بوارو" بورقة أمامه على رأسها عنوان الفندق وفردها وقال:

– إذا كنت تريد أن تكتب إلى الأستاذ "إندرباي" على هذا العنوان، فقد وعدني بأن يقوم ببعض الأبحاث من أجلي في "كندا"، فهو وكيل دعاوى له سمعة دولية. وقلت:

– وما هو عمل الساعات الدقاقة في هذه القصة؟ فابتسم "بوارو" وقال:

– آه! نعم الساعات، فسوف تكتشف بالتأكيد أن الآنسة "مارتندال" هي المسؤولة، طالما قد قلت لك إنها جريمة بسيطة جدًا، ويجب إخفاؤها في جريمة غامضة، فهذه الساعة مع كتابة "روزماري" يمكن أن تكون "شيلا" قد فقدتها في المكتب حيث جمعتها الآنسة "مارتندال" لإدخالها في مشهد الجريمة، ويمكن أنه بسبب هذه الساعة فإنها اختارت "شيلا" لاكتشاف الجريمة... وقال:

– ووفقًا لك كل ذلك هو ثمرة خيال الآنسة "مارتندال"؟ فقال:

– لا، ليس من خيالها، فهنا القصة تبدو مثيرة، فمنذ البداية اشتممت نموذجًا لهذه القصة، نموذجًا قد اعتدته إلى الدرجة التي جعلتني أقرأ نماذج عديدة مشابهة له، فلديّ الكثير من الحظ! كما يستطيع "كولن" أن يقول لك، ففي هذا الأسبوع حضرت بيعًا لمخطوطات، وبعضها كان لـ "جاري جريجسون"، ولم أجرؤ على أن أتمنى شيئًا من هذه المخطوطات، ولكن المصادفة لعبت من أجلي، وهنا! (وبحركة متآمرة أخرج كراستين

ضخمتين من الدرج) وقال:

- كل شيء هنا! بين مشاريع أخرى كثيرة للكتب، فهذا واحد من الكتب التي لم يحصل على وقت لكتابتها، ولكن الآنسة "مارتندال" التي كانت سكرتيرته تعرفه تمامًا، فما كان عليها سوى أن تتوافق مع الشخصيات التي وجدتها في المكان، وهي تؤدي إذن إلى هذه العلامات العجيبة، والتي لا توجد في مكان آخر! وجمع "هاردكسل" هذه الكراسات وأخذ من يدي الورقة التي ركّزتُ فيها نظري مفتونًا، فعنوان "إندرباي" مكتوب على ظهر الورقة وكذلك عنوان الفندق إلى أسفل إلى اليسار في الركن، وأمام هذه الورقة فهمت أخيراً أي غبي كنت. وقال "هاردكسل":

- حسن يا سيدي "بوارو"، فمن المؤكد أنك تعطيني مادة للتفكير، فقد يخرج منها شيء ما أو لا يخرج... فقال "بوارو" مظهراً تواضعه:

- إني أشعر بنشوة لأني ساعدتكم. وقلت:

- يجب عليّ فقط أن أتحقق من بعض التفاصيل. فقال:

- لكن بالتأكيد، بالتأكيد... وصافح بعضنا بعضاً وحصل "هاردكسل" على إجازة، ومرة أخرى وجدت نفسي في "ويلبراهام كريسنت". أمام باب المنزل رقم 19 حيث رننت الجرس. وفتحت لي السيدة "بيبمارش" الباب، وقلت لها:

- إني "كولن لامب"، هل أستطيع أن أكلمك؟ فقالت:

- بالتأكيد. وسبقتني إلى حجرة الاستقبال وقالت:

- يبدو لي أنك تمر كثيراً من هذا المكان يا سيد "لامب"، لقد اعتقدت أنك لا تعمل مع الشرطة المحلية... فقلت:

- عندك حق، وأعتقد أنه منذ مقابلتنا الأولى عرفت إلى من تتحدثين؟ فقالت:

- لا أفهم جيداً إلى ماذا تلمح؟ وقلت:

- إني بليد بدرجة مخيفة يا سيدتي "بيبمارش"، فأنت الشخصية التي كنت أبحث عنها عند مروري من هذا المكان، فمنذ اليوم الأول وجدتك، لكن دون أن أعي ذلك، أودون أن أدرك ذلك. فقالت:

– يُحتمل أن تكون شارد الذهن بسبب الجريمة؟ فقلت:

– كما تقولين، لكن أكثر من ذلك، لقد ارتكبت غباوة في قراءة جزء من ورقة بطريقة عكسية، وكنت أعتقد أن رقم 61 هو الذي يجب أن أبحث عنه. فقالت:

– وماذا يعني ذلك؟ وقلت:

– إن المسرحية انتهت يا سيدتي "بيبمارش" بكل بساطة، واكتشفت الحي العام الذي تم التخطيط فيه للجريمة، والفيش والمستندات مصنفة عندك بطريقة "بريل". فـ "لاركن" يوصل إليك المعلومات التي يلتقطها في "بورتلبُري" ثم تنقلين هذه المعلومات إلى "رامساي" الذي يرسلها بعد ذلك إلى وجهتها، وليس أسهل بالنسبة إليه من أن يمضي الليل في منزلك. ونظرت إلى ساعتي وقلت:

– أمامك ساعتان يا سيدتي "بيبمارش" وبعد هذا الوقت سيأتي أعضاء القسم الخاص إلى هنا. فقالت:

– إني لا أفهم، ولماذا جئت وحدك قبلهم؟ ولماذا تعطيني ما يبدو أنه تحذير؟ فقلت:

– يوجد سبب واحد في الواقع، فقد سبقت زملائي لكي أحرص على ألا يخرج من هذا المنزل أي شيء، لا شيء سوى أنتِ نفسك، فأمامك ساعتان لكي ترحلي إذا رغبت. فقالت:

– ولكن لماذا؟ لماذا؟ فقلت بهدوء:

– لأنه توجد فرصة كبيرة في أنه بعد قليل من الوقت ستصبحين حماتي... إلا إذا كان قد جانبني الصواب. وبهدوء نهضت "ميليسنت بيبمارش" وذهبت إلى النافذة، ولم تغب عن عينيّ، ولم يكن عندي أي وهم، فإننا نستطيع أن نثق بها، وقالت:

– هل عندك حق أم لا... لست أنا الشخصية التي تبحث عنها... لكن ما الذي يدعك تعتقد فيّ... هذا الاحتمال؟ فقلت:

– عيناك. ثم ساد الصمت من جديد، ثم سألتها:

– هل كنت تعرفين من كانت... في ذلك اليوم؟ فقالت:

– لا، حتى سمعت صوتها... ولكنني كنت دائماً على علم بما أصبحت. وقلت لها

وأنا أنظر إلى ساعتي:

– الوقت يجري. وتوجهت نحو مكتبها وقالت:

– عندي صورة هنا... لها عندما كانت طفلة. وكنت أقف خلفها عندما فتحت الدرج، ولم تكن تحتفظ في هذا المكان بمسدس، لكن بسكين قاتلة على الرغم من صغر حجمها، فأمسكت يدها بيديّ لكي أقلعها منها، وقلت لها:

– يمكن أن أكون حساسًا، لكن غير مجنون. وتركت نفسها تسقط على كرسي بذراعين وهي تحسس، وقالت:

– لن أنتفع ببهبتك، ففيم ستنفعني؟ وإني أنتظر أن يأتوا ليبحثوا عني، ولدينا دائمًا فرص للعمل حتى في السجن. فقلت:

– عمل إشاعات كاذبة، أليس كذلك؟ فقالت:

– إذا أردت. ثم جلسنا في الشقة كأعداء أحدنا أمام الآخر، لكن على الرغم من كل شيء كنا نفهم بعضنا بعضًا، وقلت لها معلنًا:

– إني قدمت استقالتي من الخدمة. فقالت:

– هذا شيء حكيم جدًّا وفقًا لرأيي، فلم تكن قويًّا كفاية من أجل هذا العمل. ثم احتفظنا بالهدوء؛ لأن كلا منا اقتنع بأنه على باطل.

*****

رسالة من المفتش "هاردكسل" إلى السيد "هركيل بوارو":

"عزيزي

إننا نحتفظ الآن بأدلة أعتقد أنها تهمك بطبيعتها، فشخص يدعى السيد "كِنتن دوجسكلن" ترك "كويبك" في "كندا" ليسافر إلى "أوربا" وذلك منذ أربعة أشهر ولم تكن له عائلة، ولم يحدد تاريخ عودته، ووجد جواز سفره بواسطة صاحبة مطعم صغير في "بولونيا"، والسيد "دوجسكلن" صديق لفترة طويلة لعائلة "مونتريزور" من "كويبك". والسيد "مونتريزور" رئيس العائلة مات منذ عشرة أشهر وترك ثروة ضخمة لقريبته الوحيدة ابنة أخيه وتدعى "فاليري" زوجة "يوساياه بلاند" من "كرودين"

بـ"إنجلترا"، ويبدو أن كل العلاقات كانت قد قُطعت بين السيدة "بلاند" وعائلتها الكندية التي اعترضت بشدة على زواجها.

وأعلن السيد "دوجسكلن" قبل سفره لأحد أصدقائه أنه يحب "فاليري" حبًا جمًا وأنه كان ينوي أن يقضي وقتًا عند عائلة "بلاند" في أثناء إقامته في "بريطانيا"، والجثة حتى هذا الوقت كانت تعتبر جثة "هاري كاسلتون" وتم تحديد ملامحها بطريقة رسمية على أنها جثة "كِنتن دوجسكلن".

وفي ركن من ورش عائلة "بلاند" وجدنا بعض اللافتات المدهونة حديثًا، وبعد معالجتها استطعنا أن نقرأ عليها بكل تمييز مغسلة "سنوفلاك"، وإني علمت بكل التفاصيل، ولكن قاضي التحقيق موافق على إصدار أمر إحضار لـ "يوساياه بلاند"، وكما توقعت فالآنسة "مارتندال" هي أخت للسيدة "بلاند"، وبينما أشارك وجهة نظرك في هذا الموضوع ،فإن مشاركتها في هذه الجرائم من الصعب إثباتها، فهي قوية جدًا وهذا شيء مفروغ منه، ومع ذلك فلديّ بعض الأمل في السيدة "بلاند"، فهي من النوع الذي يسهل انقياده، وموت الزوجة الأولى لـ"بلاند" في "فرنسا" وزواجه الثاني من "هيلدا مارتندال" في "فرنسا" كذلك يجب أن يكون من السهل إثباته دون شك على الرغم من أن بعض الوثائق كانت قد دمرت، وأنا سعيد جدًا لأتعرف إليك وأشكرك على اقتراحاتك النافعة جدًا التي أسديتها إليّ، وأتمنى أن تحوز التجهيزات والديكور الجديد لشقتك كل رضائك.

بكل إخلاص لك

"ريتشارد هاردكسل".

ملاحظة جديدة من "هاردكسل" إلى "هركيل بوارو":

"خبر سعيد! السيدة "بلاند" اعترفت بكل شيء، واتهمت أختها وزوجها بالقيام بكل شيء، وفقًا لأقوالها عندما خمنت ما كان ينويان فعله، كان الوقت متأخرًا جدًا (على حد قولها) فقد كانت تعتقد أنهما يريدان فقط تخديره لكي يمنعاه من أن يدرك أنها ليست السيدة التي كان يعرفها، وهذا محتمل.

أما بالنسبة إلى الآنسة "مارتندال" فقد تعرف إليها أشخاص من سوق "بورتوبللو" فإنها هي الأمريكية التي اشترت اثنتين من الساعات الدقاقة، والآن، أكدت السيدة "ماك نوتن" أنها رأت "دوجسكلن" عندما نقله "بلاند" إلى الجراح الخاص به، هل هذا صحيح؟ وصديقنا "كولن" قد تزوج بهذه الفتاة، ووفقًا لرأيي إنه مجنون للارتباط بها.

بكل صداقة وود لك

"ريتشارد هاردكسل".

تمت بعون الله